بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَوسُوعةُ البَراهِينِ والمُعجِزات

دلائلُ نبوّةِ محمّدٍ ﷺ وصِدقِ القُرآنِ الكريم

مُعجِزاتٌ عِلميّة · شواهدُ تاريخيّةٌ وأثَريّة · نُبوءاتٌ تَحقَّقَت

بِشاراتُ التّوراةِ والإنجيل · عالَمُ الجِنِّ والسِّحرِ والغَيب

مَشروحةٌ شَرحاً يَفهَمُه الطِّفل · ١٥١ رَسماً مُلوَّناً

١٥١ بُرهاناً مُرتَّباً بقُوَّتِه

الباب الأول

البَراهينُ الكُبرى

خُلاصةُ الكِتاب: آياتُ الكَونِ والأرضِ والإنسانِ وشَواهِدُ التّاريخِ مجموعةً في بابٍ واحد، ومُرتَّبةً **من أقوى بُرهانٍ إلى أضعَفِه**. فالذي تقرَؤُه أوّلاً هو الذي لا مَهربَ منه، وكلَّما مَضَيتَ في الباب خَفَّ ثِقلُ الدَّليلِ قَليلاً.

٧٥ موضوعاً

١ سَبعُ مَراحِلَ... بالتَّرتيبِ الصَّحيح

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا

سورة المُؤمنون – الآية ١٤

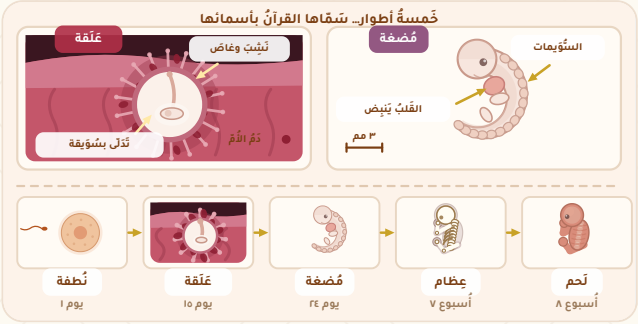

رَسمٌ مَبنيٌّ على أطوارِ كارنيجي وصُوَرِ الأجِنّةِ الحقيقيّة – بالنِّسَبِ والمَقاييسِ نَفسِها. الأسماءُ والتَّرتيبُ كما في كُتُبِ الطِّبِّ اليوم

بكلامٍ بسيط

خَمسُ مَراحِلَ سَمّاها القرآنُ بأسمائها قبلَ أربعةَ عَشَرَ قَرناً: قَطرةُ ماء، ثمّ **عَلَقة** – شيءٌ يَنشَبُ في جِدارِ الرَّحِمِ ثمّ يَتَدَلّى مُعَلَّقاً فيه كالثَّمَرةِ في غُصنِها، ثمّ **مُضغة** – قِطعةٌ صغيرةٌ عليها حُزوزٌ **كأنّ أسناناً مَضَغَتها**، ثمّ عِظامٌ تُرسَم، ثمّ لَحمٌ يَكسو العِظام. والرَّسمُ الذي في الأعلى **مَنقولٌ عن صُوَرِ الأجِنّةِ نَفسِها** – انظُر بعَينِك، ثمّ عُدْ واقرَأِ الآيةَ مَرّةً أُخرى.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يُعرَف شيءٌ عمّا يجري داخلَ الرَّحِم. وكان الرَّأيُ السّائدُ عند أرسطو ومن تَبِعَه أنّ الجَنينَ يتكوّنُ من **دَمِ الحَيضِ المُتَجَمِّد**. ورأيٌ آخَر عند جالينوس أنّ العِظامَ واللَّحمَ يتكوّنانِ **معاً في وقتٍ واحد**.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

العَلَقة – نحوَ الأُسبوعَينِ الأوّلَين: ثَلاثُ حقائقَ مُوَثَّقةٍ تَقَعُ معاً: الكُرَيّةُ الجَنينيّةُ **تَلتَصِقُ بجِدارِ الرَّحِمِ ثمّ تَغوصُ فيه** حتّى تَنغَمِرَ في نَسيجِه؛ ثمّ **تَتَدَلّى داخِلَ كيسِها مُعَلَّقةً بسُوَيقةٍ رابطة** – وهو ما تَراه في الرَّسمِ أعلاه؛ وتَنفَتِحُ حَولَها **فَجَواتٌ يَملَؤُها دَمُ الأُمّ** فتَغدو مُحاطةً به.

المُضغة – نحوَ الأُسبوعِ الرّابع: تَظهَرُ على ظَهرِ الجَنينِ كُتَلٌ تُسمّى **السُّوَيمات**. تُضافُ واحدةً بعدَ واحدةٍ حتّى تُقارِبَ أربعينَ زَوجاً، بينها أخاديدُ غائرة، فيَبدو سَطحُه مُحَزَّزاً – وطولُه يومَئذٍ ثَلاثةُ مِلّيمتراتٍ لا تُرى بلا تَكبير.

ثمّ العِظامُ فاللَّحم: يُرسَمُ الهَيكَلُ أوّلاً قوالِبَ غُضروفيّة، ثمّ تَلتَفُّ العَضَلاتُ حَولَها فتَأخُذُ شَكلَها منها – كِساءً على مَكسُوّ، تماماً كما قال.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

قِف عندَ هاتَينِ الكَلِمَتَينِ ولا تَمُرَّ عليهما مَرَّ الكِرام. **كَلِمَتانِ اثنَتان** – «عَلَقة» و«مُضغة» – وَصَفَتا ما لم تَقَع عليه عَينُ إنسانٍ إلّا بعدَ أربعةَ عَشَرَ قَرناً، وبمِجهَرٍ وكاميرا.

الأولى: «عَلَقة». ولا تَأخُذها منّي – خُذها من المَعاجِم. قال الجَوهَريُّ في «الصِّحاح»، وقد ماتَ قبلَ **ألفِ سنة**: «**والعَلَقةُ: دودةٌ في الماءِ تَمَصُّ الدَّم**». ومِثلُه حَرفاً بحَرفٍ في «لِسانِ العَرَب». والجِذرُ نَفسُه يَدورُ على **النُّشوبِ والالتِصاق**، وعلى **التَّدَلّي والتَّعَلُّق**.

والآنَ ارفَع بَصَرَك إلى الرَّسمِ في أعلى الصَّفحة. ماذا تَرى؟ تَرى كائناً **نَشِبَ** في جِدارِ الرَّحِمِ وغاصَ فيه حتّى انغَمَرَ في لَحمِه؛ ثمّ **تَدَلّى** مُعَلَّقاً بسُوَيقةٍ داخِلَ كيسِه كما تَتَدَلّى الثَّمَرةُ من غُصنِها؛ وقد **أحاطَت به دِماءُ أُمِّه** من كلِّ جانِب. اسمٌ واحدٌ أصابَ الثَّلاثةَ جَميعاً. **فمَن أخبَرَه؟**

الثّانية: «مُضغة». وهي من **المَضْغ**. قال خالِدُ بنُ جَنبةَ كما في «لِسانِ العَرَب»: «**المُضغةُ من اللَّحمِ قَدْرُ ما يُلقي الإنسانُ في فيه**» – لُقمةٌ تُمضَغ. ثمّ يَأتي المِجهَرُ بعدَ أربعةَ عَشَرَ قَرناً فيُصَوِّرُ الجَنينَ في أُسبوعِه الرّابع، ويَقولُ كِتابُ «الإنسانُ النّامي» الجامِعيّ إنّ هذه الكُتَلَ **تَبدو من الخارِجِ نُتوءاتٍ كالخَرَز** على ظَهرِه، بينها أخاديدُ غائرة. انظُر إلى الرَّسم: كأنّما ضُغِطَ بين فَكَّين! وتَذَكَّر أنّ طولَه يومَئذٍ **ثَلاثةُ مِلّيمترات** – لا تَراه عَينٌ، ولا يُعرَفُ شَكلُه إلّا بتَكبيرٍ لم يُخلَق يومَئذ.

والثّالثة: العِظامُ ثمّ اللَّحم. أيُّ إنسانٍ يَنظُرُ إلى كُتلةٍ زَخوةٍ فيَقولُ: العَظمُ أوّلاً؟! العَقلُ يَقولُ العَكس. والعِلمُ يَقولُ: بل يُرسَمُ الهَيكَلُ أوّلاً، ثمّ تَلتَفُّ العَضَلاتُ حَولَه فتَأخُذُ شَكلَها منه. وهو عَينُ قَولِه: «**فَكَسَوْنا العِظامَ لَحْماً**» – والكِساءُ لا يَكونُ إلّا على مَكسُوٍّ قائمٍ قبلَه!

أربَعُ كَلِماتٍ مُتَعاقِبةٍ في آيةٍ واحدة. **أربَعُ ضَرَباتٍ مُتَتالية.** كلُّ واحدةٍ كانت كافِيةً وَحدَها لتَهدِمَ النَّصَّ لو أخطَأَت – فما أخطَأَت واحدة. رَجُلٌ أُمِّيٌّ في صَحراء، لا يَقرَأُ ولا يَكتُب، يُسَمّي أطواراً لا تُرى بالعَين... فيُصيبُها بأسمائها واحِداً واحِداً. **فمَن عَلَّمَه؟**

٢ ظُلُماتٌ بَعضُها فَوقَ بَعض

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ

سورة النّور – الآية ٤٠

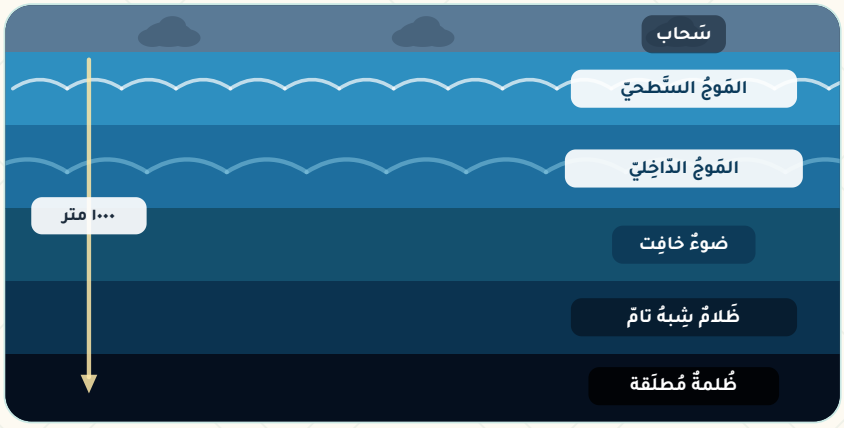

الضّوءُ يُبتَلَعُ طبقةً بعد طبقةٍ حتّى يَغيبَ تماماً تحتَ الألفِ متر

بكلامٍ بسيط

في أعماقِ البحرِ ظَلامٌ فوقَ ظَلام: السَّحابُ يَحجُبُ، ثمّ المَوجُ يَحجُب، ثمّ الماءُ يَبتلِعُ الألوانَ واحداً واحداً، حتّى لا يبقى أيُّ ضوءٍ على الإطلاق.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يَنزِل إنسانٌ إلى عُمقٍ يزيدُ على بضعةِ أمتارٍ بحبسِ النَّفَس. وأعماقُ البحرِ كانت مَجهولاً مُطلَقاً. ولم يكن أحدٌ يعلمُ أنّ الظّلامَ هناك **طبقاتٌ متدرِّجة**، ولا أنّ تحتَ المَوجِ المرئيِّ مَوجاً آخَر لا يُرى.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الضّوءُ يُمتَصُّ في الماءِ تدريجيّاً: يختفي الأحمرُ عند ١٥ متراً، ثمّ البُرتقاليُّ فالأصفرُ فالأخضر، ولا يبقى إلّا الأزرقُ الخافِتُ حتّى يزولَ نحوَ ٢٠٠ متر. وبعد ألفِ مترٍ **ظَلامٌ مُطبِقٌ لا فوتون فيه**. كما اكتُشِفت **الأمواجُ الدّاخليّة** التي تتحرّكُ على الحدودِ بين طبقاتِ الماءِ المُختلفةِ الكثافة – أمواجٌ تحتَ الأمواج.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ رتّبت ثلاثةَ حُجُبٍ بالتّرتيبِ الصّحيح من الأعلى إلى الأسفل: سَحابٌ، ثمّ مَوجٌ، ثمّ **مَوجٌ آخَرُ تحتَه**. ووجودُ مَوجٍ ثانٍ تحتَ سطحِ البحرِ حقيقةٌ لم تُعرَف إلّا في القرنِ العشرين. ثمّ ختمت بالوصفِ الجامِع: «ظُلُماتٌ بعضُها فوق بعض» – أي ظَلامٌ **مُتَراكِبٌ طَبَقيّ**، لا ظلامٌ واحد. وهذا هو الوصفُ الفيزيائيُّ الدّقيقُ لامتصاصِ الضّوءِ في الماء.

٣

ثلاثُ مَراحِلَ لصناعةِ المطَر

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ

سورة النّور – الآية ٤٣

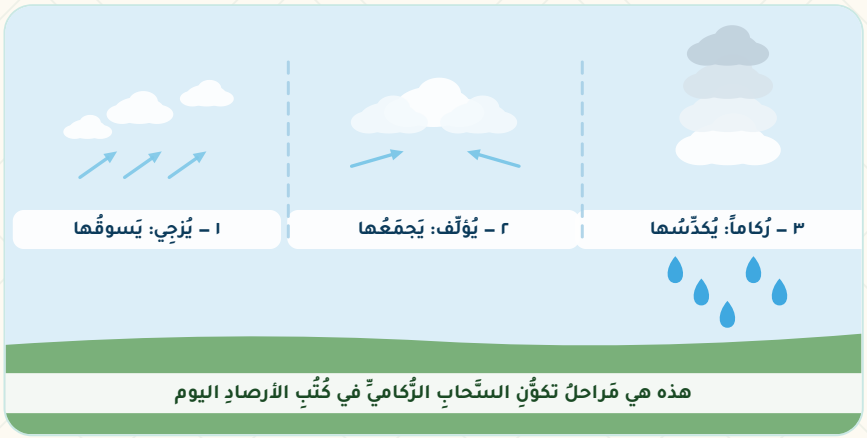

سَوقٌ، ثمّ التِحام، ثمّ تَراكُمٌ رأسيّ... ثمّ يَنزِلُ المَطَر

بكلامٍ بسيط

المَطَرُ لا يَنزِلُ فَجأة. له ثلاثُ خُطواتٍ بالتّرتيب: الرّيحُ **تَسوقُ** قِطَعَ السّحابِ الصّغيرة، ثمّ **تَلصَقُها** ببعضها، ثمّ **تُكوِّمُها** فوق بعضها كالجَبَل – وعندها يُمطِر.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

المَطَرُ كان حَدَثاً واحداً: سَحابٌ ثمّ ماء. لم يكن أحدٌ يَعرِفُ أنّ للسّحابِ **مَراحلَ بناءٍ مُرتَّبة**، ولا أنّ السّحابةَ المُمطِرةَ تختلفُ بِنيَةً عن السّحابةِ غيرِ المُمطِرة.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

هذا هو بالضّبطِ ما يُدرَّسُ في علمِ الأرصاد عن نشأةِ سَحابِ **الرُّكام (Cumulonimbus)**: تَيّاراتٌ هوائيّةٌ تَسوقُ خَلايا سَحابيّةً صغيرة، ثمّ تندمجُ هذه الخلايا، ثمّ تَنمو رأسيّاً في طبقاتٍ مُتراكِمةٍ قد يبلغُ ارتفاعُها ١٥ كيلومتراً. وعند هذه المرحلةِ **فقط** تكبُرُ القَطَراتُ كِفايةً لتَسقُط.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

ثلاثةُ أفعالٍ مُتَتابِعةٍ بحرفِ «ثُمّ» الدّالّ على التّرتيبِ والتّراخي: «يُزجِي» (يَسوقُ برِفق) ← «يُؤلِّفُ بينه» (يَدمُجُ القِطَع) ← «يجعلُه رُكاماً» (يُكدِّسُه رأسيّاً). هذا ترتيبٌ **لا يمكن عَكسُه ولا اختصارُه**، وهو عينُ التّرتيبِ العلميّ. ثمّ جاءت الدِّقّةُ الأخيرة: «يخرجُ **من خِلالِه**» – أي من فَتَحاتٍ وثَنايا داخلِ الكُتلة، لا من أسفلِها. وهو ما تُظهِرُه صُوَرُ الرّادار.

ثَلاثُمِئةٍ وسِتّونَ مَفصلاً... عَدَّها قبلَ التَّشريح

خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَةِ مَفْصِلٍ

رواه مُسلِم – صحيح

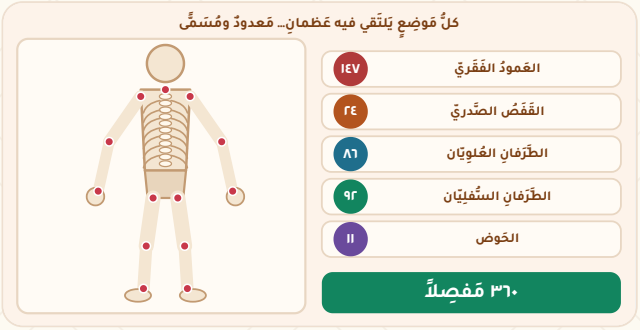

عَدَدٌ صَريحٌ لا يَقبَلُ التَّأويل – قيلَ قبلَ أوّلِ تَشريحٍ مَنهَجيٍّ بِتِسعةِ قُرون

بكلامٍ بسيط

في جَسَدِك **ثَلاثُمِئةٍ وسِتّونَ مَفصِلاً** – لا أكثَرَ ولا أقَلّ. قالها النَّبيُّ ﷺ قبلَ أربعةَ عَشَرَ قَرناً، وقَرَنَ بكلِّ مَفصِلٍ منها **صَدَقةً تُؤَدّيها كلَّ يوم**. والتَّشريحُ الحَديثُ يَعُدُّها فيَجِدُها كما قال.

ماذا كانَ النّاسُ يظنّون؟

لم يَكُن في الجَزيرةِ تَشريحٌ ولا مَدارِسُ طِبٍّ ولا مِبضَعٌ يُفتَحُ به بَدَن. بل كان تَشريحُ الإنسانِ مُحَرَّماً في أكثَرِ الحَضاراتِ القَديمة، حتّى إنّ **جالينوس** – سَيِّدَ الطِّبِّ ألفاً وخَمسَمِئةِ سنة – بَنى تَشريحَه على القِرَدةِ والخَنازير، فوَقَعَ في أخطاءٍ ظَلَّت تُدَرَّسُ قُروناً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

عُدَّت مَفاصِلُ الجَسَدِ عَدّاً – كلُّ مَوضِعٍ يَلتَقي فيه عَظمانِ، مُتَحَرِّكاً كان أو ثابِتاً – فكانت: **العَمودُ الفَقَريُّ ١٤٧**، و**القَفَصُ الصَّدريُّ ٢٤**، و**الطَّرَفانِ العُلويّانِ ٨٦**، و**الطَّرَفانِ السُّفليّانِ ٩٢**، و**الحَوضُ ١١**. المَجموع: **ثَلاثُمِئةٍ وسِتّون**.

ولَفظُ الحَديثِ نَفسِه يَحسِمُ أيَّ عَدٍّ يُرادُ، فقد سَمّاها في تَمامِه «**سُلامى**» – وهي في العربيّةِ تَشمَلُ كلَّ مَفصِلٍ في البَدَن، صَغيرَه وكَبيرَه، المُتَحَرِّكَ منه والثّابِت. فليس الرَّقمُ اصطِلاحاً حَديثاً أُسقِطَ على النَّصّ – بل **النَّصُّ هو الذي حَدَّدَ ما يُعَدّ**. وأوّلُ أطلَسٍ تَشريحيٍّ دَقيقٍ في تاريخِ البَشَرِ لم يَظهَر إلّا سنة ١٥٤٣ على يدِ **فيزاليوس**.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انتَبِه إلى نَوعِ هذا الخَبَر. ليس وَصفاً يَحتَمِلُ التَّأويل، ولا تَشبيهاً يُقَرِّبُ به مَعنًى – بل **رَقم**. والرَّقمُ إمّا أن يُصيبَ وإمّا أن يَسقُط، ولا ثالِثَ بينهما. ولو أرادَ قائلُه السَّلامةَ لقالَ «مَفاصِلَ كَثيرة» أو «مِئاتِ المَفاصِل»، فلا يُؤخَذُ عليه شَيء. لكنّه قال: **سِتّينَ وثَلاثِمِئة**. رَقمٌ واحدٌ مُحَدَّدٌ مَعدود، في بَدَنٍ لم يُفتَح، في زَمَنٍ لا مِبضَعَ فيه ولا مِجهَر.

والأعجَبُ أنّ الرَّقمَ لم يُذكَر لذاتِه. جاء في سِياقِ عَمَل: على كلِّ مَفصِلٍ منها **صَدَقةٌ في كلِّ يوم** – تَسبيحةٌ، أو إماطةُ أذًى عن طَريق، أو كَلِمةٌ طَيِّبة. فالعَدَدُ **رُكنٌ في الحُكمِ لا زينةٌ في الكَلام**؛ ولو كان خَطأً لسَقَطَ الحُكمُ المَبنيُّ عليه معه. ومَن يَختَلِقُ ديناً لا يُعَلِّقُ عِبادةً يَوميّةً برَقمٍ تَشريحيٍّ يُمكِنُ أن يُكَذَّبَ بعدَه بقُرون.

وقد يُقال: لعلّه بَلَغَه من طِبِّ الصّين، فعِندَهم رَقمٌ قَريب. وهذا أوّلُ ما يَنبَغي أن يُفحَصَ لا أن يُدفَع – وفَحصُه يَزيدُ الحُجّةَ قُوّةً من ثَلاثةِ أوجُه:

الرَّقمُ غَيرُ ثابِت: في «هُوانغدي نَيجينغ» ٣٦٥ لا ٣٦٠، بل تَرِدُ فيه ٣٦٥ و٣٦٠ و٣٥٤ في مَواضِعَ شَتّى. **والمَعدودُ غَيرُ المَعدود:** «الجِيه» الصّينيّةُ مَواضِعُ وَخزٍ على مَساراتِ الطّاقةِ لا مَفاصِلُ بين عَظمَين، والنَّصُّ نَفسُه يَقولُ إنّها قُدِّرَت **على عَدَدِ أيّامِ السَّنة** – مُطابَقةٌ كَونيّةٌ لا إحصاءُ بَدَن، حتّى إنّ باحِثي الطِّبِّ الصّينيِّ أنفُسَهم يَقولون إنّ الرَّقمَ يُرادُ به «التَّمام» لا عَدٌّ حَقيقيّ. **والطَّريقُ مَقطوع:** أقدَمُ نَقلٍ مُوَثَّقٍ للطِّبِّ الصّينيِّ إلى العالَمِ الإسلاميِّ هو «تَنكسوق نامه» لرَشيدِ الدّينِ الهَمَذانيِّ سنةَ ١٣١٣م – **بعدَ الحَديثِ بسَبعةِ قُرون**.

ويَبقى الفاصِل: الحَديثُ سَمّى المَعدودَ **«سُلامى»**، وهي كَلِمةٌ عَرَبيّةٌ تُحَدِّدُ بنَفسِها ما يُعَدّ – ولو كان نَقلاً لَجاءَ المُصطَلَحُ معه. رَجُلٌ أُمّيٌّ لم يَفتَح بَدَناً قَطّ، ولم يَرَ عَظماً مُجَرَّداً إلّا في ذَبيحة، يُعطي أُمَّتَه رَقماً تَشريحيّاً تُبنى عليه عِبادة... ثمّ يَأتي المِبضَعُ بعدَ تِسعةِ قُرونٍ فيَعُدُّ فيَجِدُه كما قال. **فمَن أحصاها له؟**

عَجْبُ الذَّنَب... منه خُلِقَ الإنسان

كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

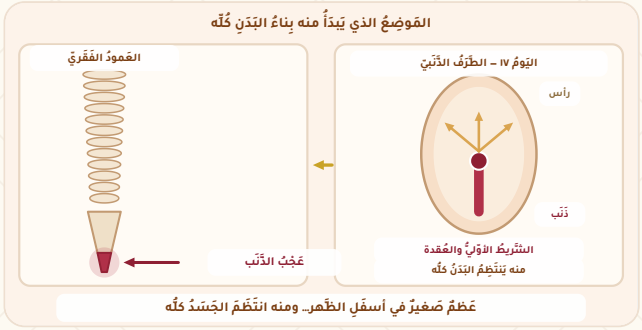

الشَّريطُ الأوّليُّ يَظهَرُ في الطَرَفِ الذَّنَبيِّ للجَنين، ومنه تُبنى المَحاوِرُ والطَبَقاتُ كلُّها

بكلامٍ بسيط

عَجْبُ الذَّنَبِ هو **العَظمُ الصَّغيرُ في أسفَلِ العَمودِ الفَقَريّ**. قال النَّبيُّ ﷺ إنّ الإنسانَ **منه خُلِق**. وعِلمُ الأجِنّةِ اليومَ يَقول: إنّ بِناءَ البَدَنِ كُلِّه يَبدأُ من **شَريطٍ يَظهَرُ في الطَرَفِ الذَّنَبيِّ للجَنين**، وفي رأسِه عُقدةٌ تُسَمّى «المُنَظِّم» – منها تَنتَظِمُ الطَّبَقاتُ الثَّلاثُ ومَحاوِرُ الجَسَدِ كلُّها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يُعرَف عن الجَنينِ في طَورِه الأوّلِ شَيء؛ فهو أقَلُّ من مِلّيمِتَرين لا تُدرِكُه عَين. أمّا عَظمُ العُصعُص فكان يُنظَرُ إليه على أنّه **بَقِيّةٌ لا وَظيفةَ لها** – ذَنَبٌ ضامِر؛ حتّى عَدَّه علماءُ القَرنِ التّاسِعَ عشرَ في قائمةِ «الأعضاءِ الأثَريّةِ» التي لا نَفعَ فيها. فأن يُجعَلَ هذا المَوضِعُ بالذّاتِ **أصلَ التَّكوين** قَولٌ يُخالِفُ البَديهةَ نَفسَها: العَقلُ يَبدَأُ بالرَّأسِ أو بالقَلب، لا بأسفَلِ الظَّهر.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

في **اليَومِ السّابِعَ عشرَ** يَظهَرُ في القُرصِ الجَنينيّ خَطٌّ يُسَمّى **الشَّريطَ الأوّليّ**، ومَوضِعُه **الطَّرَفُ الذَّنَبيُّ** من الجَنين. وفي رأسِه **العُقدةُ البِدائيّة**، وهي التي تُسَمّى في عِلمِ الأجِنّةِ «**المُنَظِّم**»: تُقيمُ التَّناظُرَ بين الجانِبَين، وتُحَدِّدُ مَوضِعَ التَّعَرُّج، وتَبدَأُ منها الطَّبَقاتُ الجَرثوميّةُ الثَّلاث، وتُرسَمُ بها مَحاوِرُ البَدَن: الرَّأسُ من الذَّنَب، واليَمينُ من اليَسار.

وقد أثبَتَ **شبيمان ومانغولد** سنة ١٩٢٤ أنّ نَقلَ هذه العُقدةِ وَحدَها إلى جَنينٍ آخَرَ يُنشِئُ فيه **جَنيناً ثانياً كامِلاً** – ونالَ شبيمان بها نوبل سنة ١٩٣٥.

ثمّ يَنحَسِرُ الشَّريطُ ويَصيرُ باقيه **بُرعُمَ الذَّنَب** في اليَومِ العِشرين. وتَبقى له صِلةٌ سَريريّةٌ مَعروفة: **الوَرَمُ المَسخيُّ العُصعُصيّ** يُنسَبُ إلى بَقايا الشَّريطِ الأوّليّ، ولا يُكتَفى في جِراحَتِه باستِئصالِ الوَرَم – بل **يُستَأصَلُ العُصعُصُ معه**، لأنّ إبقاءَه هو ما يُعيدُ الوَرَم.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انظُر إلى حَرفِ الجَرِّ وَحدَه. لم يَقُل «فيه خُلِق» ولا «خُلِقَ قبلَ غَيرِه»، بل **«منه خُلِق»** – فجَعَلَ المَوضِعَ **مَصدَراً** يَخرُجُ منه البِناء. وهذا بالضَّبطِ تَوصيفُ المُنَظِّم: ليس أوّلَ عُضوٍ يَتَكَوَّن، بل المَوضِعُ الذي **تَنتَظِمُ منه** بَقِيّةُ الأعضاء.

ثمّ انظُر إلى المَوضِعِ الذي اختِيرَ: أسفَلُ الظَّهر. لا شَيءَ في مُشاهَدةِ القَرنِ السّابِعِ يَدفَعُ إلى تَسميتِه أصلاً للخَلق، بل كلُّ شَيءٍ يَصرِفُ عنه. وما كان لأحَدٍ أن يَراه: الجَنينُ في اليَومِ السّابِعَ عشرَ أصغَرُ من أن تُدرِكَه العَينُ المُجَرَّدة.

وهنا نَقِفُ عندَ حَدٍّ يَجِبُ أن يُقال. شَطرُ الحَديثِ الثّاني – «**وفيه يُرَكَّب**» – خَبَرٌ عن البَعث، وهو أمرٌ غَيبيٌّ لا تَبلُغُه تَجرِبة، ولا نَبني عليه هنا شَيئاً. وما يُشاعُ من أنّ العِلمَ «أثبَتَ أنّ العُصعُصَ لا يَفنى» فلا نَعلَمُ له بَحثاً مَنشوراً مُحَكَّماً يُسنِدُه – **وتَركُ ما لا دَليلَ عليه أنفَعُ للحُجّةِ من تَكثيرِها به**. فالنَّقلُ كلُّه في الشَّطرِ الأوّل: جُملةٌ قَصيرةٌ عن مَوضِعٍ في البَدَن، قابِلةٌ للفَحص، جاءت قبلَ المِجهَرِ بألفِ سنة... فوافَقَت. **فمَن دَلَّه عليه؟**

١ الحَجرُ الصِّحّيُّ... قَبلَ ألفِ سنةٍ من الطِّبّ

إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

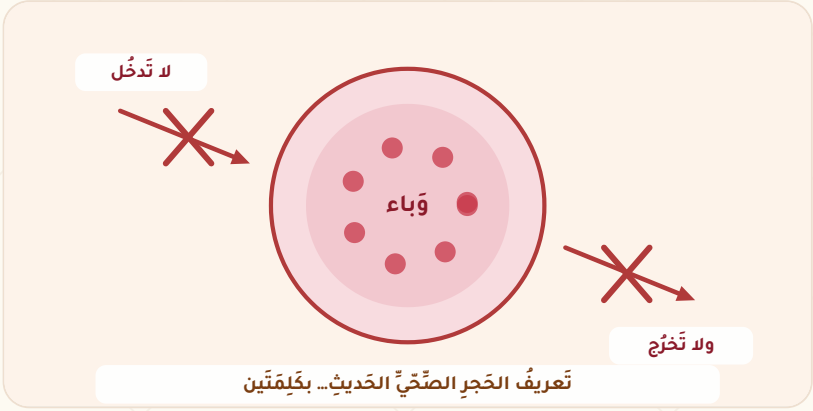

مَبدأٌ صَحِّيٌّ عالَميٌّ صيغَ في القَرنِ السّابِعِ الميلاديّ

بكلامٍ بسيط

إذا ظَهَرَ وَباءٌ في بَلَد: **لا تَدخُلْه** إن كُنتَ خارِجَه، و**لا تَخرُج منه** إن كُنتَ فيه. وهذا هو بالضّبطِ تَعريفُ **الحَجرِ الصِّحّيّ** الذي طَبَّقَه العالَمُ كلُّه في وَباءِ كورونا.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت الأوبِئةُ تُفهَمُ على أنّها غَضَبٌ أو أرواحٌ شِرّيرةٌ أو هَواءٌ فاسِد. والسُّلوكُ الطَّبيعيُّ عند وُقوعِها هو **الفِرارُ الجَماعيّ** – وهو أسوأُ ما يُمكِنُ فِعلُه، لأنّه يَنقُلُ العَدوى إلى كلِّ مَكان. ولم تَكُن الجَراثيمُ مَعروفةً، ولم يُعرَف أنّ المَرَضَ يَنتَقِلُ بالمُخالَطة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

نَظَريّةُ الجُرثومةِ لم تَستَقِرَّ إلّا في القَرنِ التّاسِعَ عشر على يدِ باستور وكوخ. وأوّلُ حَجرٍ صِحّيٍّ مُنَظَّمٍ في أوروبّا كان في البُندُقيّةِ سنة ١٣٧٧ م – أي بعدَ الحَديثِ بسَبعةِ قُرون. والمَبدأُ المَذكورُ في الحَديثِ هو **حَجرٌ ثُنائيُّ الاتّجاه**: مَنعُ الدُّخولِ ومَنعُ الخُروج – وهو بعَينِه ما نَصَّت عليه اللّوائحُ الصِّحّيّةُ الدَّوليّةُ لمُنَظَّمةِ الصِّحّةِ العالَميّة، وما طُبِّقَ في العالَمِ كلِّه سنة ٢٠٢٠.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

النِّصفُ الثّاني من الحَديثِ هو الأصعَبُ والأذكى. فمَنعُ الدُّخولِ إلى أرضِ الوَباءِ أمرٌ قد يَهتَدي إليه العَقلُ بالحَذَر. أمّا **مَنعُ الخُروجِ منها** فيُخالِفُ غَريزةَ البَقاءِ نَفسَها، ولا يَستَقيمُ إلّا إذا عُلِمَ أنّ الخارِجَ قد يَحمِلُ المَرَضَ معه **وهو لا يَشعُر** – أي إدراكُ فِكرةِ «**الحامِلِ الصّامِتِ للعَدوى**». وهذه فِكرةٌ لم تُعرَف إلّا في القَرنِ العشرين.
وقد طَبَّقَها عُمَرُ بنُ الخَطّابِ عَمَليّاً في **طاعونِ عَمَواس** فرَجَعَ بالجَيشِ عن الشّام، فلَمّا عُوتِبَ قال: «نَفِرُّ من قَدَرِ اللهِ إلى قَدَرِ الله».

٧ غُلِبَتِ الرُّومُ... وسَيَغلِبُون

الم ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ

سورة الرّوم – الآيات ١-٤

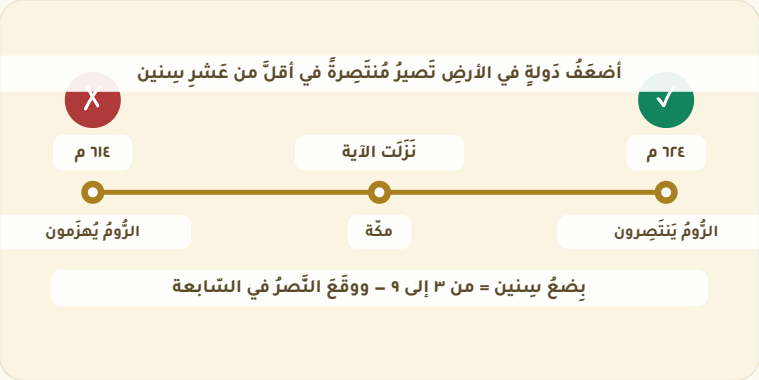

خَبَرٌ نَزَلَ في مكّةَ عن حَربٍ تَجري على بُعدِ آلافِ الأميال

بكلامٍ بسيط

خَسِرَت الرُّومُ حَرباً خَسارةً ساحِقة، حتّى ظَنَّ النّاسُ أنّها انتَهَت. فنَزَلَت آيةٌ تقول: **ستَنتَصِرُ الرّومُ خِلالَ بِضعِ سِنين**. ووَقَعَ ذلك بعدَ سَبعِ سِنين.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

سنة ٦١٤ للميلادِ سَحَقَ الفُرسُ الرُّومَ سَحقاً: أخَذوا الشّامَ ومِصرَ والقُدس، وسَبَوا الصَّليبَ المُقَدَّس. وكانت الدَّولةُ الرُّومِيّةُ على شَفا الانهِيارِ التامّ – خِزانةٌ خاوِيةٌ وجَيشٌ مُحَطَّمٌ وتَمَرُّدٌ داخِليّ. ولم يَكُن أحدٌ في الأرضِ يُراهِنُ على عَودَتِها. وقد راهَنَ مُشرِكو مكّةَ أبا بكرٍ على كَذِبِ الآيةِ – وكان الرِّهانُ جائزاً قبلَ تَحريمِه.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

سنة ٦٢٢ خَرَجَ هِرَقلُ في حَملةٍ مُضادّة، وفي **ديسمبر ٦٢٧** سَحَقَ الجَيشَ الفارِسيَّ في مَعركةِ نِينَوى قُربَ المَوصِل، ثمّ أسقَطَ كِسرى وأعادَ الصَّليب. وهذا مُثبَتٌ في المَصادِرِ البيزنطيّةِ والفارِسيّةِ والسُّريانيّة، مُستَقِلّاً عن المَصادِرِ الإسلاميّة. ووافَقَ ذلك انتِصارَ المُسلِمينَ في بَدر، كما قالت الآيةُ التّالية: «ويومئذٍ يَفرَحُ المُؤمِنون».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذه ليست حِكمةً ولا وَصفاً – هي **نُبوءةٌ مُحَدَّدةُ المَوضوعِ والمُدّة**، وصَدَرَت في أسوأِ لَحَظةٍ مُمكِنةٍ للمُتَنَبَّأ له. و«بِضع» في العربيّةِ مَحصورةٌ بين الثَّلاثِ والتِّسع – فهي مُدّةٌ مُغلَقةٌ قابِلةٌ للتَّكذيب. ولو مَضَت عَشرُ سِنينَ دون نَصرٍ لسَقَطَت الدَّعوةُ كلُّها أمام خُصومِها. وأدَقُّ من ذلك: «في **أدنى الأرض**» – والمَعركةُ وَقَعَت في مِنطَقةِ البَحرِ المَيِّت، وهي **أخفَضُ بُقعةٍ يابِسةٍ على سَطحِ الكوكب** (٤٣٠ متراً تحت سَطحِ البحر) – حقيقةٌ جُغرافيّةٌ لم تُقَس إلّا في القَرنِ التّاسِعَ عشر.

ناصِيَةٌ كاذِبَةٌ خاطِئَة

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ

سورة العَلَق – الآيتان ١٥-١٦

وَظائفُ هذا الفَصّ
- اتّخاذُ القَرار
- الكَذِبُ والصِّدق
- كَبْحُ السُّلوكِ الخاطِئ
- التَّخطيطُ والمُبادَرة

لا تَنشَأُ نِيّةُ الكَذِبِ في أيِّ مَوضِعٍ آخَرَ من الدِّماغ

التَّصويرُ الوَظيفيُّ يُظهِرُ نَشاطَ الفَصِّ الجَبهيِّ لَحظةَ الكَذِب

بكلامٍ بسيط

«النّاصية» هي مُقَدَّمُ الرَّأسِ من الأمام. والقرآنُ وَصَفَها بأنّها «كاذِبةٌ خاطِئة» – أي أنّ **الكَذِبَ والخَطأَ يَصدُرانِ من هذا المَوضِعِ بالذّات**. وهذا ما أثبَتَه علمُ الأعصاب.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الرَّبطُ بين جُزءٍ مُحدَّدٍ من الرَّأسِ ووَظيفةٍ أخلاقيّةٍ كالكَذِبِ لم يَكُن مَوجوداً. بل إنّ الفلاسفةَ اختلفوا أصلاً: أرسطو جَعَلَ مَركزَ التَّفكيرِ في **القَلب** لا في الدِّماغ. وتَحديدُ وَظائفِ مَناطقِ الدِّماغِ لم يَبدأ إلّا في القرنِ التّاسعَ عشر.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الفَصُّ الجَبهيُّ الأماميّ (Prefrontal Cortex) – وهو ما يَقَعُ خَلفَ الجَبهةِ مُباشرةً – هو مَركزُ اتِّخاذِ القَرارِ والتَّخطيطِ وكَبحِ السُّلوك. ودِراساتُ التَّصويرِ بالرَّنينِ الوَظيفيِّ تُظهِرُ أنّ **الكَذِبَ المُتَعَمَّدَ يُنشِّطُ هذه المِنطقةَ تحديداً**، لأنّه يَتَطَلَّبُ كَبحَ الحقيقةِ وبِناءَ بَديلٍ عنها. وتَلَفُ هذه المِنطقةِ يُفقِدُ صاحِبَه القُدرةَ على ضَبطِ سُلوكِه – كما في حالةِ فِينياس غيج الشَّهيرة سنة ١٨٤٨.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لاحِظ دِقّةَ النِّسبة. الآيةُ لم تقُل: «ناصِيةٍ كاذِبٍ خاطِئ» – أي صاحِبِها – بل وَصَفَت **النّاصِيةَ نفسَها** بالكَذِبِ والخَطأ، فجَعَلَت الفِعلَ صادِراً من العُضوِ لا من الشَّخص. وهذا تَحديدٌ تَشريحيٌّ لمَوضِعِ الوَظيفة. والأشدُّ لَفتاً: الرَّجُلُ المَقصودُ بالآية كان يُهدَّدُ في أشرفِ ما عنده – فلم يُخَصَّ بالذِّكرِ قَلبُه ولا لِسانُه، بل مُقَدَّمُ رأسِه: مَركزُ القَرارِ والكَذِبِ في الدِّماغ.

٩ النَّحلُ العامِلُ... كلُّه إناث

وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ۝ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا

سورة النَّحل – الآيتان ٦٨-٦٩

كلُّ نَحلةٍ تَراها تَجمَعُ الرَّحيقَ وتَبني الشَّمعَ هي أُنثى

بكلامٍ بسيط

كلُّ الأوامرِ التي وَجَّهَها اللّهُ للنَّحلِ في هذه الآياتِ جاءت **بصيغةِ المُؤنَّث**: «اتَّخِذي، كُلي، اسلُكي». والعِلمُ يقول: النَّحلُ الذي يَبني ويَجمَعُ ويَصنَعُ العَسَل **إناثٌ كلُّه**، بلا ذَكَرٍ واحد.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان الشّائعُ في العالمِ القديمِ أنّ رأسَ الخَليّةِ **مَلِكٌ ذَكَر** – وقد نَصَّ على ذلك أرسطو وسَمّاه «المَلِك»، وتَبِعَه الأوروبيّون قُروناً حتّى سَمَّوه King Bee. ولم يُثبَت أنّ رأسَ الخَليّةِ أُنثى إلّا سنة ١٦٦٨ على يدِ العالِمِ الهولنديِّ يان سوامردام.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

خَليّةُ النَّحلِ ثَلاثةُ أصناف: **مَلِكةٌ أُنثى** واحدة، وآلافٌ من **الشَّغّالاتِ الإناث** وهُنَّ اللّاتي يَبنينَ الشَّمعَ ويَجمَعنَ الرَّحيقَ ويَصنَعنَ العَسَلَ ويَحرُسنَ ويُنظِّفن، وبِضعُ مئاتٍ من **الذُّكور** لا وَظيفةَ لها سوى تَلقيحِ المَلِكةِ ثمّ تَموتُ أو تُطرَد. فالذَّكَرُ لا يَخرُجُ للرَّعيِ ولا يَبني ولا يَدخُلُ في صِناعةِ العَسَلِ إطلاقاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الالتِزامُ التّامُّ بصيغةِ التَّأنيثِ في ثَلاثةِ أفعالٍ مُتَتالية، في لُغةٍ يُغلَّبُ فيها المُذَكَّرُ عند اجتِماعِ الجِنسَين، ليس مُصادَفةً نَحويّة. بل إنّ التَّخصيصَ يَزدادُ دِقّة: الأفعالُ الثّلاثةُ هي بالضّبطِ وَظائفُ **الشَّغّالةِ الأُنثى** – بِناءُ البُيوت، والرَّعيُ على الثَّمَرات، وسُلوكُ الطُّرُقِ ذَهاباً وإياباً. ولو أُريدَ الجِنسُ كلُّه لجاءَت بصيغةِ الجَمعِ المُذَكَّر، وهذا يُخالِفُ ما كان يَعتَقِدُه أعلَمُ أهلِ الأرضِ آنذاك.

١٠

السَّمعُ قبلَ البَصَر... في كلِّ مَرّة

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

سورة النَّحل – الآية ٧٨

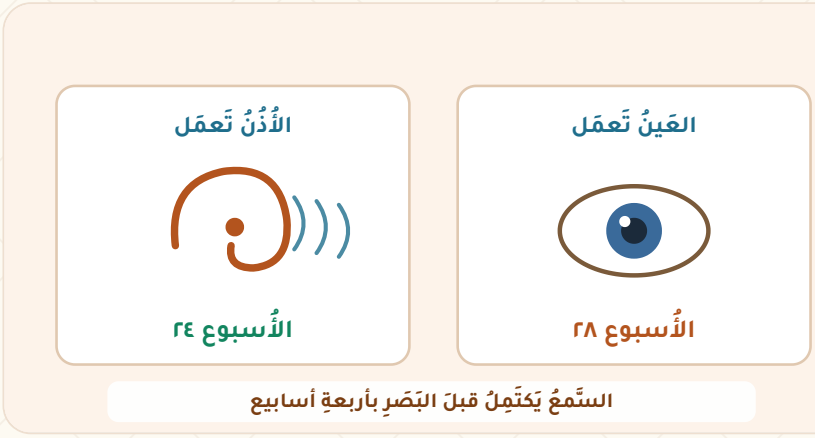

في القرآنِ كلّه لم يَتَقدَّم البَصَرُ على السَّمعِ في سِياقِ خَلقِ الإنسانِ مرّةً واحدة

بكلامٍ بسيط

القرآنُ يَذكُرُ السَّمعَ **دائماً** قبل البَصَر، في كلِّ مَوضِعٍ بلا استثناء. والعِلمُ يقول: أُذُنُ الجَنينِ تَعمَلُ وتَسمَعُ قبلَ أن تَعمَلَ عَيناه بشُهور.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

العَينُ هي الحاسّةُ التي يُقدِّمُها كلُّ إنسانٍ بالفِطرة: «رأيتُ بعَيني» أقوى من «سَمِعت»، و«شاهَدَ العَيانِ» فوق الخَبَر. والتّرتيبُ الطّبيعيُّ في كلِّ اللُّغاتِ يَبدأُ بالبَصَر. ولم يكن يُعرَفُ أنّ الجَنينَ يَسمَعُ أصلاً.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

قوقَعةُ الأُذُنِ تَكتَمِلُ بُنيَتُها في الأُسبوعِ العِشرين تقريباً، ويَستَجيبُ الجَنينُ للأصواتِ استجابةً مُثبَتةً من **الأُسبوعِ الرّابعِ والعشرين**. أمّا الشَّبَكيّةُ والمَسارُ البَصَريُّ فلا يَكتَمِلانِ وظيفيّاً قبل **الأُسبوعِ الثّامنِ والعشرين**. والمَولودُ يُميِّزُ صوتَ أُمِّه فور وِلادَتِه، بينما لا يرى بوُضوحٍ إلّا بعد شُهور.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الإعجازُ ليس في مَوضِعٍ واحد، بل في **الاطّرادِ التامّ**. لو كان التّرتيبُ اتِّفاقاً لَتَبَدَّلَ ولو مرّةً في ثَلاثةَ عشرَ مَوضِعاً. وهو مُطَّرِدٌ رَغمَ أنّه يُخالِفُ الذَّوقَ اللُّغويَّ العامّ. بل إنّ الدِّقّةَ تَزيد: «السَّمْع» جاءت **مُفرَدةً دائماً** و«الأبصار» **جَمعاً دائماً** – لأنّ السَّمعَ حاسّةٌ واحدةٌ تَستقبِلُ من كلِّ الجِهاتِ نَوعاً واحداً من المُدرَكات، بينما تُنتِجُ العينانِ صُوَراً مُختلِفةً تُدمَجُ في الدِّماغ.

١١ الألَمُ يَسكُنُ في الجِلد

كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ

سورة النِّساء – الآية ٥٦

نِهاياتٌ عَصَبيّةٌ حُرّةٌ كَثيفةٌ قُربَ السَّطح

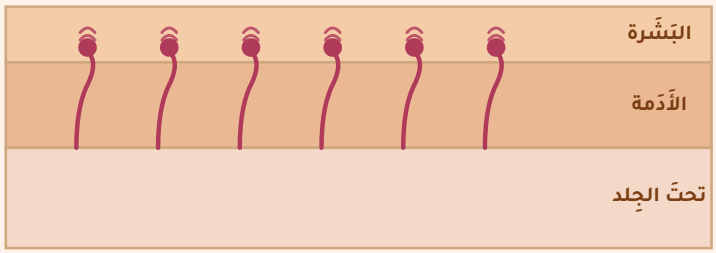

مُستَقبِلاتُ الألَمِ كلُّها في الجِلد – فإذا احتَرَقَ زالَ الإحساس

الحَرقُ العَميقُ من الدَّرجةِ الثّالثةِ لا يُؤلِمُ – لأنّ مُستَقبِلاتِ الألَمِ احتَرَقَت

بكلامٍ بسيط

الإحساسُ بالألَمِ ليس في كلِّ الجَسَد – بل في **الجِلدِ** تحديداً. ولذلك حين يَحتَرِقُ الجِلدُ حَرقاً عَميقاً، يَتَوَقَّفُ الإحساسُ بالألَمِ في ذلك المَوضِع. والآيةُ تُبَدِّلُ الجِلدَ حتّى يَستَمِرَّ الإحساس.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الألَمُ كان يُتَصوَّرُ إحساساً عامّاً في الجَسَدِ كلِّه، أو في القَلبِ أو في الرّوح. ولم يكن يُعرَفُ أنّ له **مُستَقبِلاتٍ عَصَبيّةً مُتَخَصِّصة**، ولا أنّ لها مَوضِعاً بعَينِه. ولم تُوصَف مُستَقبِلاتُ الألَمِ علميّاً إلّا سنة ١٩٠٦ على يدِ شارلز شيرينغتون.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

مُستَقبِلاتُ الألَمِ (Nociceptors) نِهاياتٌ عَصَبيّةٌ حُرّةٌ تَتَرَكَّزُ في **طَبَقاتِ الجِلد**. وفي الحُروقِ من الدَّرجةِ الثّالثة، حيث يَتَلَفُ الجِلدُ بكامِلِ سُمكِه، **يَفقِدُ المُصابُ الإحساسَ بالألَمِ في المَوضِعِ المَحروق** تماماً – وهذه علامةٌ تَشخيصيّةٌ مُعتَمَدةٌ يَستَعمِلُها الأطِبّاءُ للتَّفريقِ بين دَرَجاتِ الحَرق. والعِلاجُ يَقتَضي تَرقيعَ الجِلدِ ليَعودَ الإحساس.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

العِلّةُ مَذكورةٌ في الآيةِ نفسِها: «**لِيَذُوقُوا العَذَاب**». أي أنّ تَبديلَ الجِلدِ ليس زِيادةً في العُقوبة، بل هو **شَرطُ استِمرارِ الإحساسِ بها**. وهذا يَقتَضي معرفةَ أمرَين مَعاً: أنّ الإحساسَ بالألَمِ مَوضِعُه الجِلد، وأنّ الجِلدَ إذا نَضِجَ (احتَرَقَ تماماً) **بَطَلَ الإحساس**. فالآيةُ لم تَصِف الألَمَ فحسب، بل بَنَت عليه حُكماً مَنطِقيّاً لا يَصِحُّ إلّا بهذه الحَقيقةِ الطِّبّيّة.

١٢

لَبَنٌ خالِصٌ من بينِ فَرْثٍ ودَم

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴾

سورة النَّحل – الآية ٦٦

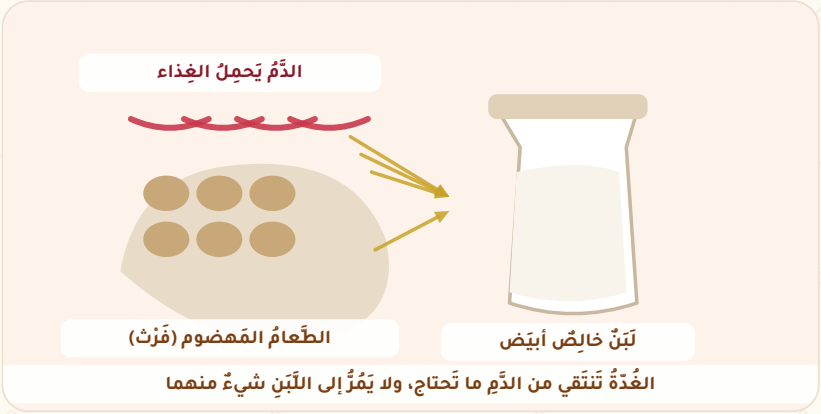

اللَّبَنُ يُصنَعُ في الضَّرعِ من مَوادَّ يَحمِلُها الدَّمُ من الأمعاء

بكلامٍ بسيط

اللَّبَنُ الأبيَضُ النَّقيُّ الذي تَشرَبُه يُصنَعُ في جِسمِ البَقَرةِ في مَوضِعٍ **بين** الطَّعامِ المَهضومِ في الأمعاءِ والدَّمِ الذي يَجري في العُروق. ومع ذلك يَخرُجُ **خالِصاً** لا لَونَ فيه من هذا ولا من ذاك.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم تُعرَف آليّةُ تَكوُّنِ اللَّبَنِ إطلاقاً. وكان الظَّنُّ أنّ اللَّبَنَ يَتَجَمَّعُ في الضَّرعِ كما يَتَجَمَّعُ الماءُ في القِربة. أمّا رَبطُه بالطَّعامِ المَهضومِ والدَّمِ معاً، وتَحديدُ مَوضِعِه **بينهما**، فلم يَكُن لأحدٍ به عِلم.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

الغِذاءُ يُهضَمُ في الأمعاءِ ثمّ تُمتَصُّ مُكوِّناتُه إلى الدَّم. والدَّمُ يَحمِلُها إلى الغُدّةِ اللَّبَنيّةِ في الضَّرع، فتَلتَقِطُ الخَلايا الطَّلائيّةُ من الدَّمِ ما تَحتاجُه من سُكَّرٍ وأحماضٍ أمينيّةٍ ودُهونٍ وأملاح، ثمّ **تُرَكِّبُ اللَّبَنَ تَركيباً جَديداً** وتُفرِزُه. فاللَّبَنُ لا هو دَمٌ مُصَفّى ولا هو طَعامٌ مُذاب، بل مادّةٌ مُصَنَّعةٌ مَوضِعُها بين الجِهازِ الهَضميِّ والدَّورةِ الدَّمَويّة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

حَرفُ الجَرِّ «**من بَينِ**» هو مَوضِعُ الإعجاز. لم تَقُل الآيةُ «من فَرْثٍ ودَم» – فيكونَ اللَّبَنُ مُستَخرَجاً منهما ومُختَلِطاً بهما؛ ولم تَقُل «بعد فَرْثٍ ودَم». بل قالت «من بَينِهما» – أي أنّ مَوضِعَ الإنتاجِ **واقِعٌ بينهما في السِّلسِلة**: بعدَ الهَضمِ وبعدَ نَقلِ الدَّم، وقبلَ خُروجِ اللَّبَن. ثمّ وَصَفَ النّاتِجَ بأنّه «**خالِصاً**» – أي خالياً تماماً من أثَرِ ما جاء منه. وصفٌ لمَسارٍ فِسيولوجيٍّ لم يُفهَم إلّا بعد اكتِشافِ الدَّورةِ الدَّمَويّةِ سنة ١٦٢٨.

١٣

اغسِل يَدَيكَ قبلَ أن تَعرِفَ لماذا

إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسْ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ

رواه البُخاريُّ ومُسلِم – مُتَّفَقٌ عليه

«فإنّه لا يَدري أينَ باتَت يَدُه» – تَعليلٌ قائمٌ على ما لا يُرى

٤	٣	٢	١
غَسلُ الفَمِ والأنفِ والوَجه	السِّواك عندَ كلِّ صَلاة	غَسلُ اليَدِ عندَ الاستيقاظ	الوُضوءُ خَمساً في اليوم

غَسلُ اليَدَينِ أهَمُّ إجراءٍ وِقائيٍّ مُنفَرِدٍ في الطِّبّ
مُنَظَّمةُ الصِّحّةِ العالَميّة

نِظامُ طَهارةٍ يَوميٍّ مَفروضٌ على كلِّ مُسلِمٍ خَمسَ مَرّات

بكلامٍ بسيط

أمَرَ النَّبيُّ ﷺ بغَسلِ اليَدَينِ عند الاستيقاظِ قبلَ لَمسِ الطَّعام، وعَلَّلَ ذلك بعِلّةٍ عَجيبة: **«لا يَدري أينَ باتَت يَدُه»** – أي أنّ هناك أذًى مُحتَمَلاً **لا يُرى بالعَين**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم تَكُن الجَراثيمُ مَعروفةً بأيِّ صورة. والنَّظافةُ كانت مَسألةَ **مَظهَرٍ ورائحة**: إن كانت اليَدُ نَظيفةً في العَينِ فهي نَظيفة. ولم يَكُن هناك مَفهومٌ لِتَلَوُّثٍ خَفِيٍّ يَنتَقِلُ باللَّمس. بل ظَلَّ الأطِبّاءُ في أوروبّا حتّى القَرنِ التّاسِعَ عَشَرَ يَنتَقِلونَ من تَشريحِ المَوتى إلى تَوليدِ النِّساءِ بلا غَسلِ أيدٍ.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

غَسلُ اليَدَينِ هو اليومَ **أهَمُّ إجراءٍ وِقائيٍّ مُنفَرِدٍ في الطِّبِّ كلِّه** بإقرارِ مُنَظَّمةِ الصِّحّةِ العالَميّة، ويَمنَعُ وَحدَه مَلايينَ الإصاباتِ سَنَوياً. وقد اكتُشِفَ ذلك سنة ١٨٤٧ على يدِ الطَّبيبِ المَجَرِيِّ **سِمِلفايس** الذي لاحَظَ أنّ غَسلَ أيدي الأطِبّاءِ خَفَضَ وَفَياتِ النُّفَساءِ من ١٨٪ إلى ٢٪ – **فسَخِرَ منه زُمَلاؤه وطُرِدَ من عَمَلِه وماتَ في مَصَحّ**. أمّا المُسلِمُ فيَغسِلُ يَدَيه ووَجهَه وفَمَه وأنفَه وذِراعَيه وقَدَمَيه خَمسَ مَرّاتٍ في اليوم.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

مَوضِعُ الدَّلالةِ في **التَّعليل** لا في الأمر. فالأمرُ بالنَّظافةِ قد يُقالُ إنّه ذَوقٌ أو عادة. أمّا قَولُه «**لا يَدري أينَ باتَت يَدُه**» فهو تَعليلٌ بأمرٍ **مَجهولٍ غيرِ مَرئيّ** – أي أنّ الخَطَرَ قائمٌ حتّى لو بَدَت اليَدُ نَظيفة. وهذا هو جَوهَرُ مَفهومِ التَّلَوُّثِ الخَفِيِّ الذي بُنِيَ عليه الطِّبُّ الوِقائيُّ كلُّه. وأضِف إليه بَقيّةَ المَنظومة: السِّواكُ عند كلِّ صَلاة، والاستِنشاقُ والمَضمَضةُ في الوُضوء، والأمرُ بتَغطِيةِ الإناء، والنَّهيُ عن التَّنَفُّسِ في الشَّراب، والنَّهيُ عن البَولِ في الماءِ الرّاكِد، ووُجوبُ الغُسل. نِظامٌ صِحّيٌّ مُتَكامِلٌ صيغَ قبلَ نَظَريّةِ الجُرثومةِ باثنَي عشرَ قَرناً.

١٤

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ... تِسعُ سِنينَ من التَّحَدّي

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ

سورة المَسَد – الآيات ١-٣

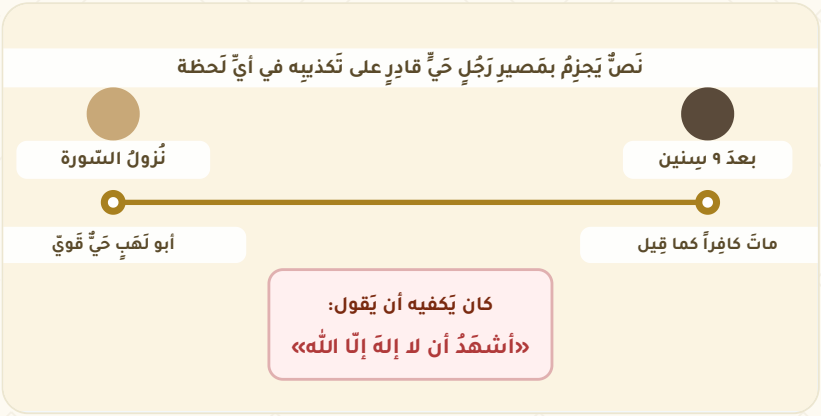

أخطَرُ نَصٍّ يُمكِنُ أن يُكتَب: حُكمٌ نِهائيٌّ على شَخصٍ لم يَمُت بعد

بكلامٍ بسيط

نَزَلَت سورةٌ تقولُ إنّ عَمَّ النَّبيِّ ﷺ – أبا لَهَبٍ – **سيَدخُلُ النّار**. أي أنّه لن يُسلِمَ أبداً. وعاشَ بعدها تِسعَ سِنين، وكان يَكفيه أن يَنطِقَ الشَّهادةَ كَذِباً ليُسقِطَ القرآنَ كلَّه – ولم يَفعَل.

ماذا كانَ النّاسُ يظنّون؟

أبو لَهَبٍ كان من أشَدِّ أعداءِ الدَّعوةِ وأقدَرِهم على إيذائها، وهو عَمُّ النَّبيِّ ﷺ وسَيِّدٌ في قُرَيش. ولم يَكُن أحدٌ يَستَطيعُ أن يَعرِفَ ما سيَصيرُ إليه رَجُلٌ في قابِلِ الأيّام، فكم من عَدُوٍّ شَديدٍ أسلَمَ بعدَ عَداوَةٍ – كعُمَرَ بنِ الخَطّاب وخالِدِ بنِ الوَليدِ وعِكرِمةَ بنِ أبي جَهل.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

ماتَ أبو لَهَبٍ بعدَ غَزوةِ بَدرٍ بأيّام – أي بعدَ نُزولِ السّورةِ بنحوِ تِسعِ سِنين – **على كُفرِه**، بمَرَضٍ نَفَرَ منه أهلُه. وهذا مُتَّفَقٌ عليه في كُتُبِ السِّيرةِ والتّاريخِ كلِّها، ولم يُنازِع فيه أحدٌ حتّى من خُصومِ الإسلام.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

هذه ليست نُبوءةً عن أمرٍ بَعيدٍ لا يَملِكُ أحدٌ التَّأثيرَ فيه – بل عن **اختِيارِ رَجُلٍ حَيٍّ يَسمَعُها بأُذُنَيه**. وهو أحرَصُ النّاسِ على هَدمِ هذه الدَّعوة. فكان أمامَه تِسعُ سِنينَ ليَقولَ كلمةً واحدةً – ولو كاذِباً مُتَظاهِراً – فيَنهارَ النَّصُّ وتَنتَهيَ الدَّعوةُ في يومِها. **إبقاءُ هذا التَّحَدّي مَفتوحاً تِسعَ سِنينَ ثمّ خُتِمَ كما قِيل، مُخاطَرةٌ لا يُقدِمُ عليها بَشَرٌ.** ويُضافُ إليه أنّ السّورةَ حَكَمَت على امرأتِه كذلك، فماتَت على الكُفرِ أيضاً. احتِمالانِ في اثنَينِ أُصيبا معاً، بعدَ تِسعِ سِنينَ من فُرَصِ التَّكذيب.

١٥

«مَلِك» في زَمَنِ يوسُف... و«فِرعَون» في زَمَنِ موسى

وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي ... وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ

سورة يوسف ٥٤ – وسورة غافر ٢٦

تَبَدُّلُ اللَّقَبِ المَلَكيِّ حَقيقةٌ لم تُعرَف إلّا بعدَ فَكِّ الهيروغليفيّة

بكلامٍ بسيط

القرآنُ يُسَمّي حاكِمَ مِصرَ في زَمَنِ يوسُفَ **«المَلِك»**، ويُسَمّي حاكِمَها في زَمَنِ موسى **«فِرعَون»** – ولا يَخلِطُ بينهما أبداً. وعِلمُ المِصريّاتِ يقولُ إنّ هذا هو الصَّحيحُ تماماً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يَكُن في الجَزيرةِ عِلمٌ بألقابِ حُكّامِ مِصرَ ولا بتاريخِ تَبَدُّلِها. والأشهَرُ في المِنطَقةِ كلِّها أن يُسَمّى كلُّ حاكِمٍ مِصريٍّ «فِرعَون» على الإطلاق. بل إنّ **التَّوراةَ نفسَها تُسَمّي حاكِمَ يوسُفَ «فِرعَون»** في سِفرِ التَّكوينِ مِراراً.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

كلمةُ «فِرعَون» أصلُها المِصريُّ **«بِر-عا»** (pr-ʿ3) ومَعناها «البَيتُ العَظيم» – أي القَصرُ نفسُه لا شَخصُ الحاكِم. وظَلَّت كذلك طَوالَ الدَّولَتَينِ القَديمةِ والوُسطى. ولم تُستَعمَل لَقَباً **للحاكِمِ نفسِه** إلّا ابتِداءً من الدَّولةِ الحَديثة، في عَهدِ تحتمس الثّالث تقريباً (القرن ١٥ ق.م)، وشاعَت بعدَ ذلك. ويَقَعُ زَمَنُ يوسُفَ قبلَ ذلك، وزَمَنُ موسى بعدَه. وهذا مُقَرَّرٌ في مَراجِعِ المِصريّاتِ الحَديثة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الاطِّرادُ هو الدَّليل. لو كان الأمرُ اتِّفاقاً لَاختَلَطَ اللَّقَبانِ ولو مَرّةً واحدةً في نَحوِ ثَلاثينَ مَوضِعاً. لكنّ القرآنَ يَلتَزِمُ التَّفريقَ التِزاماً تامّاً. والأقوى من ذلك أنّه **يُخالِفُ النَّصَّ التَّوراتيَّ المُتَداوَلَ بين أهلِ الكِتابِ في زَمانِه** – وهو المَصدَرُ الوَحيدُ الذي يُتَّهَمُ بالنَّقلِ عنه. فلو كان النّاقِلُ بَشَراً لَنَقَلَ الخَطأَ معه. والتَّصحيحُ لم يُعرَف صَوابُه إلّا بعدَ فَكِّ الهيروغليفيّةِ بأكثَرَ من ألفِ سنة.

١٦

العَلَقَة: شيءٌ مُعَلَّقٌ يَمتَصُّ الدَّم

خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ

سورة العَلَق – الآية ٢

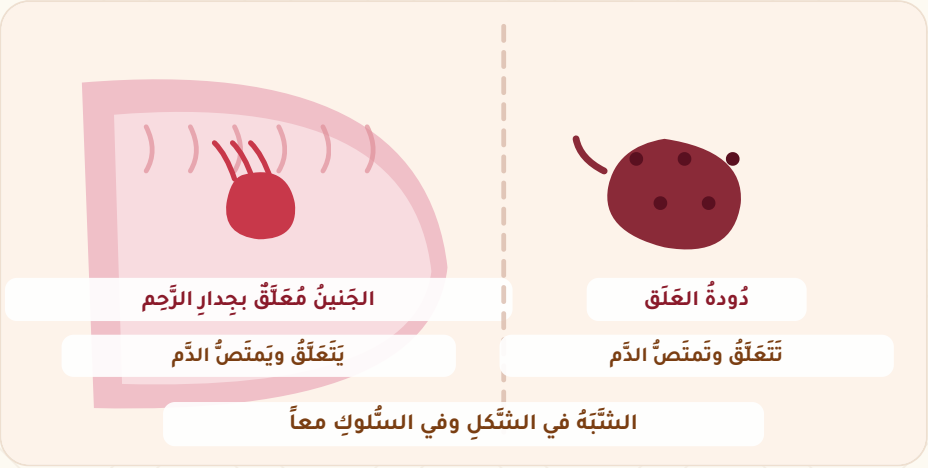

الجَنينُ في أُسبوعِه الثّالث: شكلُه ووظيفتُه شكلُ العَلَقةِ ووظيفتُها

بكلامٍ بسيط

كلمةُ «عَلَق» في العربيّةِ لها ثلاثةُ معانٍ: الشّيءُ **المُعَلَّق**، و**دُودةُ العَلَقِ** التي تَمتَصُّ الدَّم، و**الدَّمُ الجامِد**. والجَنينُ في هذه المرحلةِ يَجمَعُ المَعانيَ الثّلاثةَ معاً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لا أحدَ رأى جَنيناً في أُسبوعِه الثّالث. حَجمُه أقلُّ من مِلّيمترَين، ولا يُرى إلّا بمِجهَر. ولم يكن يُعرَفُ أنّ الجَنينَ **يَلتَصِقُ بجِدارِ الرَّحِمِ ويَتَغَذّى منه**: الظَّنُّ السّائدُ كان أنّه يَسبَحُ في سائلٍ يَتَغَذّى منه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

في اليومِ السّادسِ يَنغَرِسُ الكيسُ الأريميُّ في بِطانةِ الرَّحِمِ فيُصبحُ **مُعَلَّقاً بها**. ثمّ تَحفُرُ خَلاياه أوعِيةَ الأُمِّ الدَّمويّةَ فتَغمُرُ الدِّماءُ الفَراغاتِ حولَه – أي أنّه **يَمتَصُّ الدَّمَ حرفيّاً**. وصُوَرُ المِجهَرِ للجَنينِ في الأُسبوعِ الثّالثِ تُظهِرُه بشكلٍ يُطابِقُ دُودةَ العَلَقِ حتّى في التَّقَوُّسِ والتَّقسيمِ الجانِبيّ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

اجتماعُ المَعاني الثّلاثةِ في لَفظةٍ واحدةٍ هو الإعجاز. فلو أُريدَ التَّعليقُ وحدَه لقيلَ «مُعَلَّقة»، ولو أُريدَ الدَّمُ وحدَه لقيلَ «دَم». لكنّ «عَلَقة» تَصِفُ في آنٍ واحد: **المَوضِعَ** (مُعَلَّقٌ بالجِدار)، و**التَّغذِيَةَ** (يَمتَصُّ الدَّم)، و**الشَّكلَ** (كدُودةِ العَلَق)، و**المادّةَ** (مُحاطٌ بدَمٍ مُتَجَمِّد). أربعُ حقائقَ مِجهَريّةٍ في كلمةٍ نزلت على أُمّيٍّ قبل اختراعِ المِجهَرِ بألفِ عام.

IV

الجِبالُ تَمشي وأنتَ تَحسَبُها ثابِتة

وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

سورة النّمل – الآية ٨٨

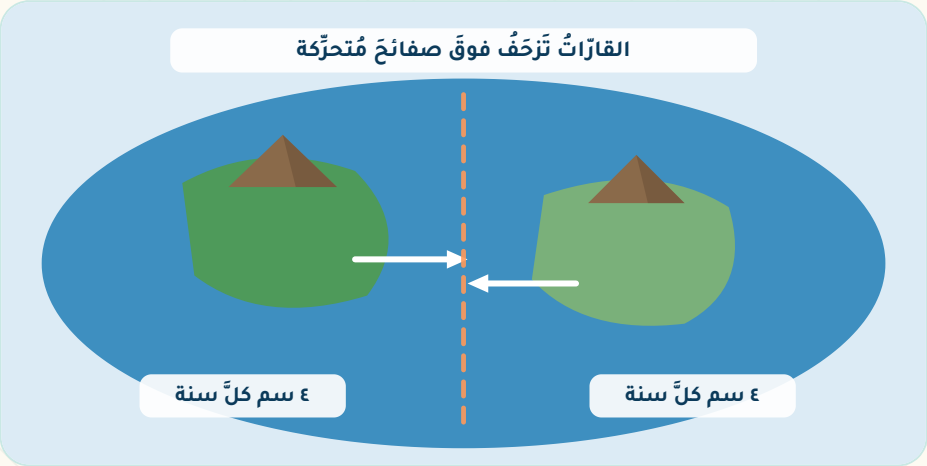

القارّاتُ كلُّها تسيرُ ببُطءٍ شديد، وما فوقها يسيرُ معها

بكلامٍ بسيط

الجبالُ تبدو لك واقفةً لا تتحرّك. لكنّها في الحقيقةِ **تمشي** – ببُطءٍ شديدٍ لا تراه عينُك، تماماً كما لا ترى السّحابةَ تتحرّكُ إن نظرتَ إليها لَحظةً واحدة.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الجبالُ عند كلِّ البشرِ كانت رمزَ الثّباتِ المُطلَق. «راسِخٌ كالجبل» مَثَلٌ في كلِّ لُغة. ولم يَدَّعِ أحدٌ أنّ الأرضَ نفسَها تنزلقُ من تحتها.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

نظريّةُ **الصّفائحِ التّكتونيّة**، المُستقرّةُ منذ ستّينيّاتِ القرنِ العشرين: القِشرةُ الأرضيّةُ مُقسَّمةٌ إلى ألواحٍ عملاقةٍ تطفو وتنزلق، وتحملُ معها القارّاتِ والجِبالَ بسرعةٍ تبلغُ بضعةَ سنتيمتراتٍ في السّنة. وقد صارت هذه الحركةُ تُقاسُ اليومَ بالأقمارِ الصّناعيّة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التّشبيهُ نفسُه هو البُرهان: «تَحسَبُها جامِدةً» – أي أنّ سُكونَها **وَهْمٌ بَصَريّ** صريح. ثمّ «تَمُرُّ مَرَّ السَّحاب» – والسّحابُ يتحرّكُ حركةً **أُفُقيّةً بطيئةً جماعيّة**، لا يَسقُطُ ولا يَقفِز. فوصفت الآيةُ حركةً حقيقيّةً مع تعليلِ سببِ عدمِ رُؤيتها. وأدقُّ من ذلك: الجبالُ لا تمرُّ وحدَها، بل تمرُّ **ومعها كلُّ ما حولَها** – تماماً كالسّحاب.

١٨

الكَونُ يَتَّسِعُ في كلِّ لَحظة

وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ

سورة الذّاريات – الآية ٤٧

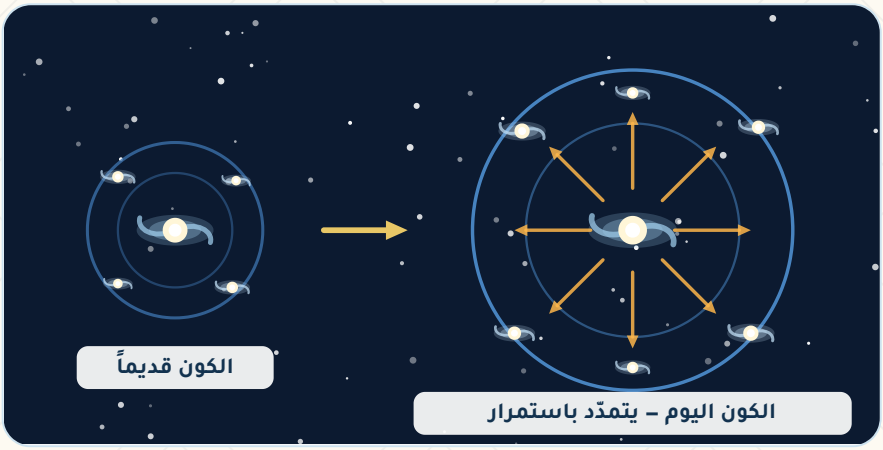

المجرّات تتباعد عن بعضها كنُقَطٍ على بالونٍ يُنفَخ

بكلامٍ بسيط

تخيّل بالوناً رسمتَ عليه نقاطاً صغيرة، ثمّ نفختَه. كلُّ نقطةٍ ابتعدت عن جارتها. الكونُ يفعلُ هذا بالضّبط: السّماءُ تكبُرُ وتتّسعُ في كلِّ ثانيةٍ من عمرِها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان النّاسُ – بل وكبارُ الفلاسفةِ والعلماء – يعتقدون أنّ الكونَ **ساكنٌ ثابت**، حجمُه واحدٌ لا يزيدُ ولا ينقص. ظلّ هذا الاعتقادُ سائداً حتّى القرنِ العشرين، حتّى إنّ أينشتاين نفسَه أضاف إلى معادلاتِه ثابتاً مُصطنَعاً ليُجبِرَ الكونَ على الثّبات!

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

سنة ١٩٢٩ رصد إدوين هابل أنّ ضوءَ المجرّاتِ البعيدةِ **يميلُ إلى الأحمر**، ومعنى ذلك أنّها تهربُ منّا. وكلّما بَعُدَت زادت سُرعةُ هُروبها. الكونُ يتوسّع. وفي ١٩٩٨ اكتُشِفَ أنّ التّوسُّعَ **يتسارع**، ونالَ مُكتشِفوه جائزةَ نوبل سنة ٢٠١١.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الكلمةُ المستعملةُ في الآيةِ هي «مُوسِعون» – اسمُ فاعلٍ يدلُّ على فِعلٍ **مستمرٍّ لا ينقطع**، لا «وَسَّعْنا» الماضية. أي أنّ التّوسيعَ جارٍ الآن. رجلٌ أُمّيٌّ في صحراءِ الجزيرة، لا تلسكوبَ عنده ولا مِقياسَ طَيف، يقولُ جملةً تُخالفُ إجماعَ البشريّةِ كلِّها، ثمّ يأتي أكبرُ اكتشافٍ فلكيٍّ في التّاريخِ ليُصدِّقَها حرفاً بحرف. هذا لا يُفسَّرُ بالصُّدفةِ ولا بالذّكاء.

١٩

كانا شيئاً واحِداً... ثُمَّ انفَصَلا

أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا

سورة الأنبياء – الآية ٣٠

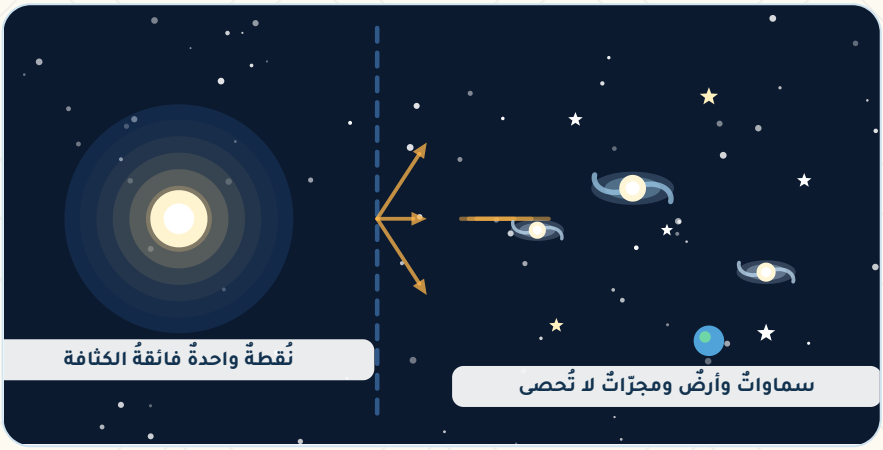

من كُتلةٍ واحدةٍ مُلتَحِمة إلى كونٍ مُتَّسِعٍ مليءٍ بالمجرّات

بكلامٍ بسيط

القرآنُ يقول: السّماءُ والأرضُ كانتا في البدايةِ **ملتصقتَين** شيئاً واحداً، ثمّ شقَّهما اللّهُ وفَرَّقهما. تماماً كبذرةٍ صغيرةٍ واحدةٍ انفتحت فخرجت منها شجرةٌ كاملة.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم تكن هناك أيُّ فكرةٍ عن «بدايةٍ للكون» أصلاً. كان الاعتقادُ أنّ الكونَ **أزليٌّ بلا بداية**. ومن اعتقدَ بنشأةٍ ما، تخيّلها أساطيرَ عن آلهةٍ تتقاتل، لا انفصالاً ماديّاً لجسمٍ واحد.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

نظريّةُ الانفجارِ العظيم، وهي اليوم النّموذجُ المعتمَدُ عالميّاً: الكونُ كلُّه بدأ **نقطةً واحدةً فائقةَ الكثافةِ والحرارة** ثمّ انفتق وتمدّد. وقد تأكّدت بأدلّةٍ ثلاثة: تباعُدُ المجرّات، و«إشعاعُ الخلفيّةِ الكونيّ» المُكتشَفُ سنة ١٩٦٥ (وهو حرارةُ الانفجارِ الباقية)، ونِسَبُ الهيدروجينِ والهيليوم في الكون.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

كلمةُ «رَتْق» في العربيّةِ تعني الشّيءَ المُلتَحِمَ المسدود، و«فَتْق» تعني شقَّه وفصلَه. هذا وصفٌ دقيقٌ لا يحتملُ التّأويل. والأهمُّ أنّ الآيةَ تُقدِّمُ هذا **كدليلٍ تحدٍّ** للكافرين («أوَلم يَرَ الّذين كفروا»)، أي أنّها تُراهنُ على أنّه سيَظهرُ يوماً – وقد ظَهَر بعد ١٣٠٠ سنة، وأخذَ صاحباه جائزةَ نوبل عليه سنة ١٩٧٨.

٢٠

الجِبالُ أوتادٌ مَغروسةٌ في الأرض

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا

سورة النّبأ – الآيتان ٦-٧

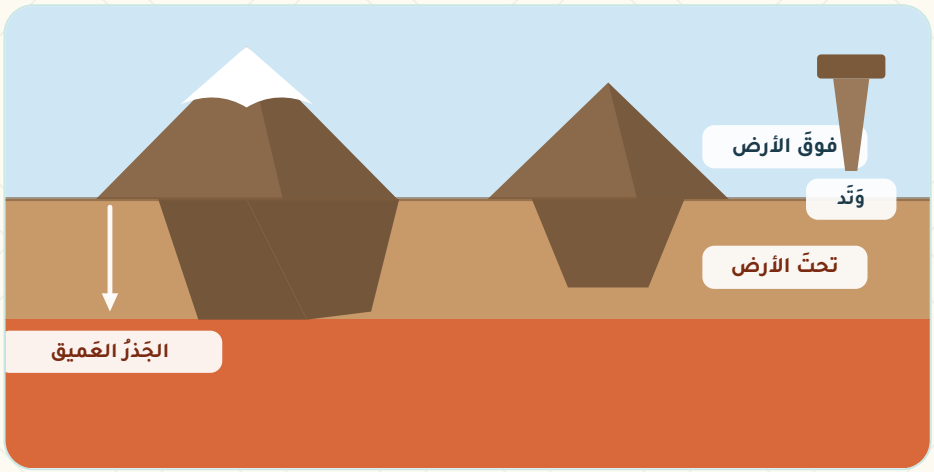

الجبلُ كالوَتَد: الظّاهرُ قليل، والمَغروسُ تحتَ الأرضِ أضعافُه

بكلامٍ بسيط

الوَتَدُ الذي تُثبّتُ به الخَيمةَ ظاهِرُه صغير، ومَغروسُه في الأرضِ كبير. والجبالُ كذلك تماماً: لها **جُذورٌ عميقةٌ تحتَ الأرض** أضعافُ ما تراه فوقها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الجبلُ كان في نظرِ النّاسِ كُتلةَ صَخرٍ مَوضوعةً **على** سطحِ الأرض، كحجرٍ على طاولة. لم يكن لأحدٍ سبيلٌ ليعرفَ أنّ تحتَها امتداداً، فالحَفرُ لم يكن يتجاوزُ آباراً ضحلة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

علمُ الجيولوجيا يُسمّي هذا **«جُذورَ الجِبال»**: كلُّ جبلٍ يَغوصُ في القِشرةِ الأرضيّةِ بعُمقٍ يبلغُ عادةً خمسةَ أضعافِ ارتفاعِه الظّاهر. وهذه الجُذورُ هي التي تُثبّتُ القِشرةَ وتَحُدُّ من اهتزازِها – وهو ما يُعرَفُ بمبدأ «التّوازُنِ القِشريّ».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

كلمةُ «وَتَد» ليست تشبيهاً في الحَجمِ ولا في الشّكلِ المُدبَّبِ فقط؛ الوَتَدُ في العربيّةِ شيءٌ مُعرَّفٌ بوظيفته: **جِسمٌ أغلبُه مَدفونٌ ليُثبِّتَ ما فوقه**. فالآيةُ أعطت الجِبالَ خاصّيّتَين لم تكونا معروفتَين: الامتدادَ تحت السّطح، والتّثبيت. ولاحِظ ما قبلَها: «الأرضَ مِهاداً» – أي فِراشاً يُمكِنُ أن يتحرّك، فجاءت الأوتادُ لتُثبِّتَه.

٢١

بَحرانِ يَلتَقِيانِ ولا يَختَلِطان

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ

سورة الرّحمن – الآيتان ١٩-٢٠

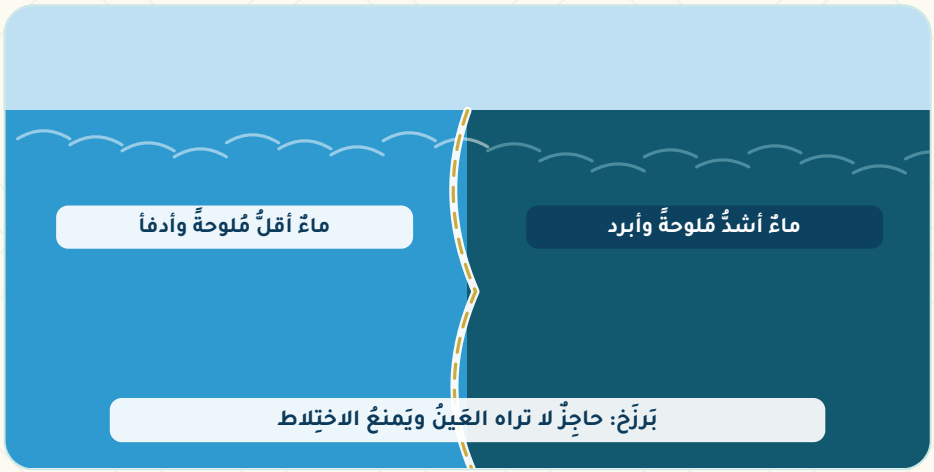

خطُّ الفَصلِ بين بحرَينِ يُرى بالعَينِ المُجرَّدةِ في مَواضِعَ كثيرةٍ من العالم

بكلامٍ بسيط

حين يلتقي بحرانِ مُختلِفان، لا يمتزجانِ فوراً كما تتوقّع. يبقى بينهما **حاجزٌ** يفصلُ ماءَ هذا عن ماءِ ذاك، فيبقى كلُّ بحرٍ مُحتفِظاً بلونِه ومُلوحتِه وحرارتِه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان البديهيُّ لدى كلِّ إنسانٍ أنّ الماءَ إذا لاقى الماءَ اختلطَ به فوراً – كما يختلطُ كوبانِ من ماء. ولم يكن يُتصوَّرُ وجودُ «جِدارٍ» بين ماءٍ وماء.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

عِلمُ المُحيطاتِ يُثبِتُ وجودَ **حواجزَ مائيّةٍ حقيقيّة** تُسمّى «الجَبَهات» و«الهالوكلاين»: اختلافُ المُلوحةِ والكثافةِ والحرارةِ يخلقُ منطقةَ انتقالٍ ضيّقةً ذاتَ توتُّرٍ سطحيٍّ خاصّ تَمنعُ الامتزاجَ السّريع. وتُرى بالعينِ عند مَضيقِ جبل طارق وعند رأسِ الرّجاءِ الصّالح.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ لم تكتفِ بذِكرِ عدمِ الاختلاط؛ سمَّت السّببَ: «**بَرزَخ**» – والبَرزَخُ في العربيّة هو الحاجِزُ الفاصِلُ بين شَيئَين. ثمّ وصفت أثرَه: «لا يَبغِيان» أي لا يَعتدي أحدُهما على الآخَر. فهذا وصفٌ لظاهرةٍ لم تُكتشَف إلّا بأجهزةِ قياسِ المُلوحةِ والكثافةِ في القرنِ العشرين. وفي آيةٍ أخرى زاد الوصفَ دقّةً: «وجعلَ بينهما بَرزَخاً و**حِجراً مَحجوراً**».

٢٢

عَذبٌ فُراتٌ... ومِلحٌ أُجاج

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾

سورة الفُرقان – الآية ٥٣

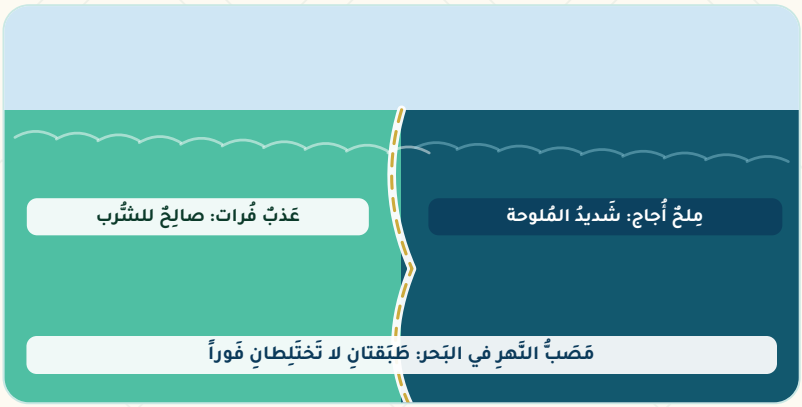

المِياهُ العَذبةُ تَطفو فوقَ المالِحةِ في مَصَبّاتِ الأنهارِ بحاجِزٍ واضِح

بكلامٍ بسيط

حين يَصُبُّ النَّهرُ العَذبُ في البَحرِ المالِح، لا يَختَلِطُ الماءانِ فَوراً. يَبقى بينهما **حاجِزٌ** تَراه الأقمارُ الصِّناعيّةُ بوُضوح، ويَمتَدُّ عَشَراتِ الكيلومترات.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الماءُ ماءٌ عند النّاسِ جَميعاً، يَختَلِطُ بالماءِ بالبَديهة. ولم يَكُن يُعرَفُ أنّ للمِياهِ المُختَلِفةِ **كَثافاتٍ وتَوَتُّراتٍ سَطحيّةً مُختَلِفة** تَجعَلُها تَتَطَبَّقُ ولا تَمتَزِج. وأمّا وَصفُ ما بينهما بأنّه «حاجِزٌ مَمنوع» فتَحديدٌ غَريبٌ لا مُقابِلَ له في المُشاهَدةِ العادِيّة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

في مَصَبّاتِ الأنهارِ الكُبرى – كالأمازونِ والمِسيسيبي والنِّيل – يَمتَدُّ الماءُ العَذبُ في البَحرِ عَشَراتِ الكيلومتراتِ **مُحتَفِظاً بلَونِه وكَثافَتِه**، وخَطُّ الفَصلِ مَرئيٌّ من الفَضاء. والسَّبَبُ اختِلافُ الكَثافةِ والمُلوحةِ والحَرارة، فتَنشَأُ مِنطَقةٌ انتِقاليّةٌ ضَيِّقةٌ تُسمّى **«الهالوكلاين»** تُبطِئُ الامتِزاجَ إبطاءً شَديداً. وقد صَوَّرَ رُوّادُ الفَضاءِ هذه الظّاهِرةَ مِراراً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الفَرقُ بين هذه الآيةِ وآيةِ الرَّحمنِ فَرقٌ دَقيقٌ لا يَنتَبِهُ إليه إلّا مَن يَعلَم. ففي سورةِ الرَّحمنِ الكَلامُ عن بَحرَينِ مالِحَينِ مُختَلِفَي الخَواصّ، وجاء الفاصِلُ بينهما لَفظاً واحداً: «بَرزَخ». أمّا هنا – حيثُ اللِّقاءُ بين **عَذبٍ ومالِح** – فزاد وَصفاً ثانياً: «**وحِجراً مَحجوراً**»، أي مَنعاً مُؤَكَّداً مُشَدَّداً. والسَّبَبُ الفيزيائيُّ واضِح: الفَرقُ في الكَثافةِ بين العَذبِ والمالِحِ **أشَدُّ بكَثير** من الفَرقِ بين مالِحَين، فالفَصلُ أوضَحُ وأقوى. فتَشديدُ اللَّفظِ جاء مُوافِقاً لتَشديدِ الظّاهِرةِ بالضّبط.

٢٣

كُلَّما ارتَفَعتَ... ضاقَ صَدرُك

وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ

سورة الأنعام – الآية ١٢٥

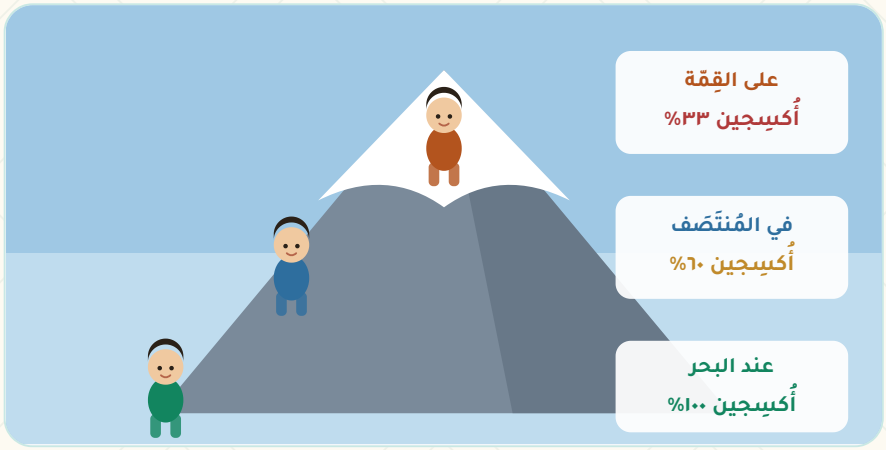

كلّما صَعِدتَ قَلَّ الأُكسِجين، فضاقَ التَّنفُّسُ وزادَ الحَرَج

بكلامٍ بسيط

لو صَعِدتَ جبلاً عالياً جدّاً لَشَعَرتَ أنّ صدرَك يَضيق، وأنّ التّنفُّسَ صار مُتعِباً. كلّما ارتفعتَ أكثر، ضاقَ صدرُك أكثر. والقرآنُ ضربَ هذا **مَثَلاً** لضِيقِ صدرِ المُعرِض.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

أعلى ما بلغَه إنسانٌ في تلك البيئةِ قِمّةُ جبلٍ مُتواضِعة، ولم يكن أحدٌ يَربِطُ بين الارتفاعِ وضِيقِ النَّفَس رَبطاً **مُتَدرِّجاً**. بل لم يكن يُعرَفُ أنّ للهواءِ وزناً أو ضَغطاً أصلاً؛ لم يَقِس تُريتشيلّي الضّغطَ الجوّيَّ إلّا سنة ١٦٤٣.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

كلّما ارتفعتَ انخفضَ الضّغطُ الجوّيُّ فقَلَّ الأُكسِجينُ الواصِلُ إلى الدَّم. عند ٣٥٠٠ متر يبلغُ نحوَ ٦٠٪ من قيمتِه عند سطحِ البحر، وعند قِمّةِ إفرست نحو ٣٣٪. والنّتيجةُ ضِيقُ تَنفُّسٍ وانقِباضٌ في الصَّدرِ وصُداع – وهو ما يُسمّى **«داءَ المُرتَفَعات»**. ولهذا تُزوَّدُ الطّائراتُ بأنظمةِ ضَغطٍ صِناعيّ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

ثلاثُ دَقائقَ في عِبارةٍ واحدة. الأولى: الرَّبطُ بين الصُّعودِ وضِيقِ الصَّدرِ أصلاً. الثّانية: كلمةُ «حَرَجاً» تُفيدُ شِدّةَ الضّيقِ بعد الضّيق – أي تَدرُّجاً في الشِّدّة. الثّالثة وهي الأدقّ: صيغةُ «**يَصَّعَّدُ**» – بتضعيفِ الصّادِ والعَين – تُفيدُ في العربيّة تكلُّفَ الصُّعودِ ومُعاناتَه شيئاً فشيئاً، لا مُجرَّدَ الارتفاع. فالصِّيغةُ نفسُها تَحمِلُ التّدرُّجَ الذي يَصِفُه علمُ وظائفِ الأعضاءِ اليوم.

٢٤

الرّياحُ لَواقِحُ... تُزوِّجُ النَّباتَ والسَّحاب

وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ

سورة الحِجر – الآية ٢٢

الرّيحُ تُلقّحُ النّباتَ بحبوبِ اللّقاح، وتُلقّحُ السَّحابَ بالشُّحناتِ والغُبار

بكلامٍ بسيط

الرّيحُ لا تُحرِّكُ الأشياءَ فقط – هي **تُزوِّج**. تحملُ حُبوبَ اللَّقاحِ من زهرةٍ إلى زهرةٍ فتُثمِر، وتحملُ الغُبارَ والشُّحناتِ إلى السَّحابِ فيُمطِر.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الرّيحُ كانت قوّةَ دَفعٍ ونَقلٍ فحسب: تُسيِّرُ السُّفُنَ وتُثيرُ الغُبار. وأمّا أنّ لها **دوراً في الإخصاب** فلم يكن معروفاً؛ ولم يُثبَت أنّ للنّباتِ ذُكوراً وإناثاً أصلاً إلّا سنة ١٦٩٤ على يدِ العالِمِ الألمانيِّ كاميراريوس.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

التّلقيحُ بالرّياح (Anemophily) طريقةُ تكاثُرِ آلافِ الأنواعِ النّباتيّة – القمحِ والأرزِ والذُّرةِ والنّخيلِ والصّنوبر. وفي السَّحاب: الرّيحُ تحملُ **نوَياتِ التّكاثُف** من غُبارٍ ومِلحٍ يلتفُّ حولها بُخارُ الماءِ فيتحوّلُ قَطَراً، وتفصلُ الشُّحناتِ الكهربائيّة بين أعلى السّحابةِ وأسفلها فيتكوّنُ البَرقُ ويَنزِلُ المَطَر. بغيرِ هذه النّوَياتِ لا يُمطِرُ السّحابُ أصلاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

«لَواقِح» جمعُ «لاقِح»، والفعلُ «لَقَّحَ» في العربيّةِ مُختَصٌّ بالإخصابِ والتّزويج – ومنه تلقيحُ النّخل، وهو أمرٌ عرفَه العربُ في النَّخلِ خاصّةً بالتّلقيحِ اليَدَويّ. فنِسبةُ هذا الفِعلِ إلى **الرّيح** نفسِها إثباتٌ لدورٍ لم يكن مَعروفاً. والأدقُّ منه: الآيةُ رتَّبت الإلقاحَ ثمّ نُزولَ المَطَرِ مباشرةً («فأنزلنا») – أي أنّ الرّيحَ تُلقِّحُ السَّحابَ أيضاً فيُنتِجَ المَطَر. وهذا هو علمُ الأرصادِ الحديثُ حرفيّاً.

٢٥

جِبالٌ في السَّماءِ فيها بَرَد

وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ

سورة النّور – الآية ٤٣

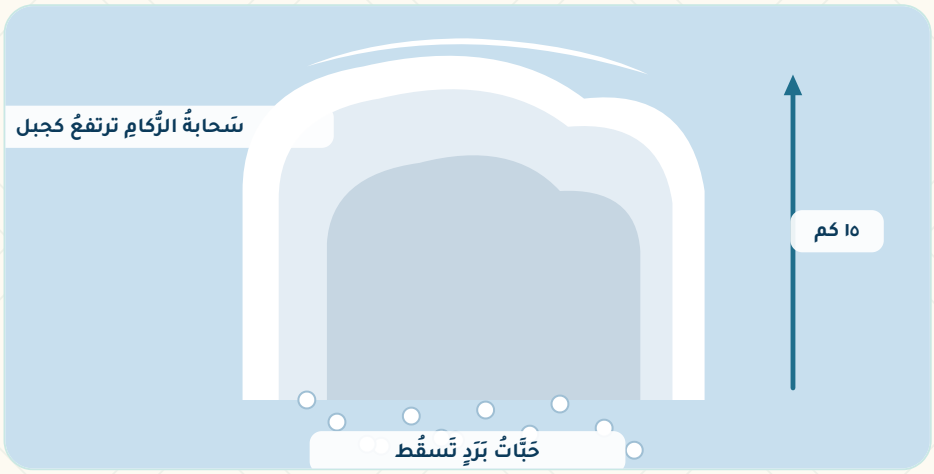

سَحابةُ الرُّكام: كُتلةٌ هائلةٌ تَرتفِعُ رأسيّاً كأنّها جبلٌ في السّماء

بكلامٍ بسيط

البَرَدُ – حبّاتُ الثَّلج – لا ينزِلُ من أيِّ سَحابة. ينزِلُ فقط من سُحُبٍ ضَخمةٍ **ترتفعُ في السّماءِ كالجِبال**، ويبلغُ ارتفاعُها أضعافَ أعلى جبلٍ في الأرض.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

السّحابُ يُرى من الأرضِ سَطحاً مُمتَدّاً أُفُقيّاً، لا جِبالاً. ولم تكن هناك وسيلةٌ لمعرفةِ ارتفاعِ السّحابة، ولا لإدراكِ أنّ للسُّحُبِ أنواعاً مُختلِفةَ الشَّكلِ والارتفاع.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

البَرَدُ يتكوّنُ حَصراً في **سَحابِ الرُّكامِ المُزنِيّ**: كُتلةٌ رأسيّةٌ يبلغُ ارتفاعُها من ٨ إلى ١٥ كيلومتراً – أي أعلى من جبلِ إفرست. التّيّاراتُ الصّاعدةُ داخلَها تَرفَعُ قَطرةَ الماءِ مِراراً إلى الأعلى حيث تتجمّدُ طبقةً فوق طبقة، حتّى يَثقُلَ حجمُها فتَسقُط. ولهذا لو شَطَرتَ حَبّةَ بَرَدٍ لرأيتَ فيها حَلَقاتٍ كحَلَقاتِ جِذعِ الشّجرة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التّعبيرُ «من جِبالٍ فيها من بَرَد» يُعطي ثلاثَ معلوماتٍ في سَبعِ كلمات: أنّ للسّحابِ صورةً **جَبَليّةً رأسيّة**، وأنّ البَرَدَ يوجدُ **داخلَها** لا فوقَها، وأنّه لا يَنزِلُ إلّا **منها هي** دون غيرِها من السُّحُب. وهذه الحَصريّةُ هي أدقُّ ما في الآية، ولا يُمكِنُ لأحدٍ أن يَعرِفَها وهو يَنظُرُ من الأرض.

٢ نُطفةٌ أمشاج... ماءٌ مَخلوط

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

سورة الإنسان – الآية ٢

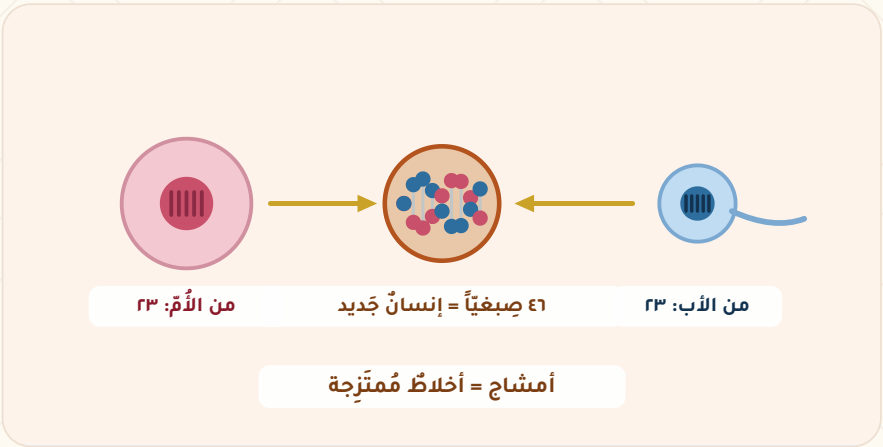

الخَلِيّةُ الأولى ليست شيئاً واحداً، بل امتِزاجُ نِصفَينِ من أبوَين

بكلامٍ بسيط

بدايةُ الإنسانِ ليست ماءً واحداً – بل **خَليطٌ** من مادّتَين: نِصفٌ من الأبِ ونِصفٌ من الأُمّ، يَمتَزِجان فيَصيرانِ شيئاً واحداً جديداً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان الاعتقادُ الشّائعُ أنّ الطِّفلَ يَتَكوّنُ من ماءِ الرَّجُلِ وحدَه، وأنّ الأُمَّ مُجرَّدُ **وِعاءٍ وأرضٍ تُنبِتُ البِذرة**. هذا نصُّ أرسطو صراحةً، وظلَّ سائداً في الطِّبِّ قُروناً. ولم تُكتَشَف بُوَيضةُ المرأةِ إلّا سنة ١٨٢٧ على يدِ كارل فون باير.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الإخصاب: حَيَوانٌ مَنَوِيٌّ يَحمِلُ ٢٣ صِبغيّاً يَندَمِجُ ببُوَيضةٍ تَحمِلُ ٢٣ صِبغيّاً، فتَنتُجُ خَلِيّةٌ واحدةٌ بـ ٤٦ صِبغيّاً هي أصلُ الإنسانِ كلِّه. فالنُّطفةُ الأولى **خَليطٌ حقيقيٌّ** من مُكوِّنَينِ مُتَساوِيَين، وليست مادّةً واحدة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لفظةُ «**أمشاج**» جمعُ «مَشَج»، ومعناها في المعاجم: الأخلاطُ المُمتَزِجةُ حتّى لا يُميَّزُ بعضُها من بعض. وهي صِفةٌ لِمُفرَدٍ («نُطفةٍ» مُفرَدة) – أي أنّ النُّطفةَ الواحدةَ نفسَها أخلاط. وهذا يُصَحِّحُ مَذهَبَ أرسطو الذي حَكَمَ العالَمَ ألفَي سنة. وفي آيةٍ أخرى زِيادةٌ في التّفصيل: «خُلِقَ من ماءٍ دافِق» ثمّ «من نُطفةٍ إذا تُمنى» – والقرآنُ يَنسِبُ اختِلافَ الذُّكورةِ والأُنوثةِ إلى النُّطفةِ لا إلى الرَّحِم.

٢٧

الذَّكَرُ والأُنثى... يُحدِّدُهما الأب

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ

سورة النّجم – الآيتان ٤٥-٤٦

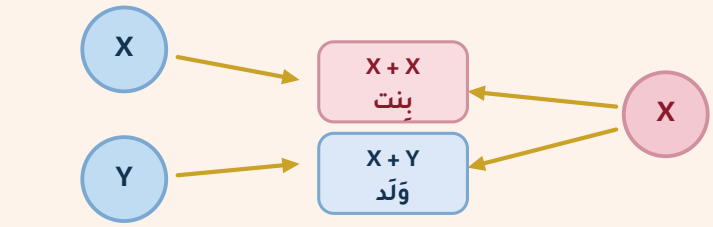

الأُمُّ لا تَملِكُ إلّا X – فالقرارُ من الأبِ وحدَه

نَوعُ الجَنينِ يَتَحدَّدُ لَحظةَ الإخصابِ بما يَحمِلُه الحَيَوانُ المَنَويّ

بكلامٍ بسيط

هل المَولودُ وَلَدٌ أم بِنت؟ القرارُ ليس من الأُمِّ أبداً – بل من **الأب**. لأنّ الأُمَّ لا تَملِكُ إلّا نوعاً واحداً، بينما يَحمِلُ الأبُ النَّوعَين.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان – ولا يَزالُ في بعضِ المُجتمَعاتِ – يُلامُ النِّساءُ على إنجابِ الإناث، وتُطَلَّقُ المرأةُ لأنّها «لا تُنجِبُ الذُّكور». وقد بَنى أرسطو نَظَريّةً كامِلةً على أنّ حَرارةَ الرَّحِمِ ودَرَجةَ نُضجِ الدَّمِ هي التي تُحدِّدُ الجِنس.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الصِّبغيّانِ الجِنسيّان: المرأةُ XX، والرَّجُلُ XY. فالبُوَيضةُ تَحمِلُ X دائماً بلا استثناء، أمّا الحَيَوانُ المَنَويُّ فقد يَحمِلُ X أو Y. فإن التَقَت بُوَيضةٌ بحَيَوانٍ يَحمِلُ X فالمَولودُ أُنثى، وإن حَمَلَ Y فذَكَر. **فالجِنسُ يُحدَّدُ كُلّيّةً من ناحيةِ الأب.** اكتُشِفَ هذا سنة ١٩٠٥ على يدِ نيتي ستيفنز.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ تَنسِبُ خَلقَ الزَّوجَينِ – الذَّكَرِ والأُنثى – إلى **النُّطفةِ إذا تُمنى**، و«تُمنى» فِعلٌ خاصٌّ بماءِ الرَّجُل. فالمَصدَرُ مُحدَّدٌ لا لَبسَ فيه. ولو كان النَّصُّ بَشَريّاً في بيئةٍ تَلومُ المرأةَ على نَوعِ المَولودِ لَكانَ أَولى به أن يَسكُتَ أو يُوافِقَ العُرف. لكنّه **خالَفَ الثّقافةَ السّائدةَ ونَسَبَ الأمرَ إلى الأبِ صراحةً**، فجاء العلمُ بعد ثلاثةَ عشرَ قرناً يُصَدِّقُه.

٢٨

في ظُلُماتٍ ثَلاث

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ

سورة الزُّمَر – الآية ٦

ثَلاثةُ حُجُبٍ مُتَراكِبة: جِدارُ البَطن، ثمّ جِدارُ الرَّحِم، ثمّ الأغشيةُ الجَنينيّة

بكلامٍ بسيط

الجَنينُ لا يَجلِسُ في غُرفةٍ واحدةٍ مُظلِمة – بل في **ثَلاثِ غُرَفٍ**، كلُّ واحدةٍ داخلَ الأخرى: جِدارُ بَطنِ الأُمّ، ثمّ جِدارُ الرَّحِم، ثمّ كيسُ الماءِ الذي يُحيطُ به.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يكن هناك تَشريحٌ للحَوامِل، ولا معرفةٌ بِبِنيَةِ الرَّحِم. والتَّصوُّرُ البَديهيُّ أنّ الجَنينَ في **ظُلمةٍ واحدة**: داخلَ بَطنِ أُمِّه. أمّا تَعدادُ ثَلاثِ ظُلُماتٍ بعَينِها فتَحديدٌ دَقيقٌ يَقتَضي معرفةَ الطَّبَقاتِ واحدةً واحدة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الجَنينُ يُحيطُ به ثَلاثةُ حُجُبٍ مُتَتالِية: **جِدارُ البَطنِ الأماميّ**، ثمّ **جِدارُ الرَّحِم** بعَضَلاتِه الثَّلاث، ثمّ **الأغشيةُ الجَنينيّة** (السَّلى والمَشيماء) وما بينها من سائل. كلُّ واحدٍ منها يَحجُبُ الضَّوءَ بذاته، وهي مُرتَّبةٌ من الخارجِ إلى الدّاخلِ تماماً كما ذُكِرَت.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

العَدَدُ هو مَوضِعُ الحَسم. القرآنُ لم يقُل «في ظُلمة» ولا «في ظُلُمات» مُطلَقةً، بل حَدَّدَ: «**ثَلاث**».
والتَّحديدُ العَدَدِيُّ قابِلٌ للتَّكذيبِ فوراً لو كان خَطأً. وقد جاء مَقروناً بِعِبارةٍ أخرى بالِغةِ الدِّقّة: «خَلْقاً من بَعدِ خَلْق» – أي أطواراً مُتَعاقِبةً يُنشَأُ كلُّ طَورٍ منها بعد الذي قَبلَه. فاجتَمَعَ في آيةٍ واحدةٍ وصفُ **المكانِ بطَبَقاتِه** ووصفُ **الزَّمَنِ بأطوارِه**.

٢٩

المُضغَة: قِطعةٌ عليها أثَرُ الأسنان

ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ

سورة الحجّ – الآية ٥

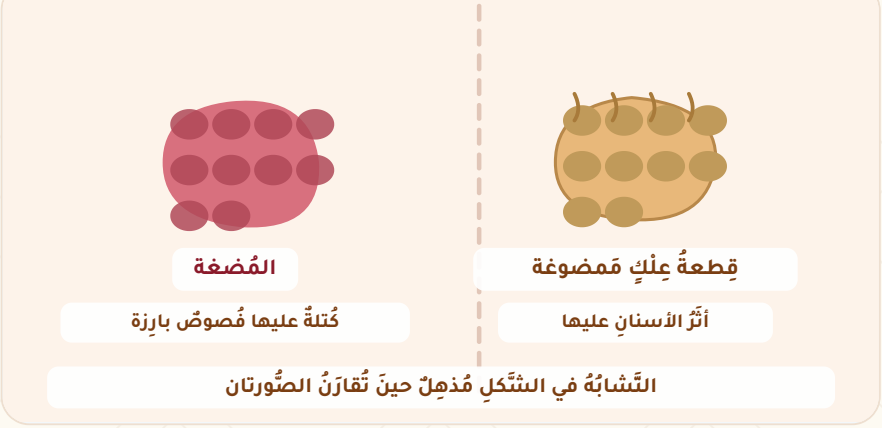

الجَنينُ في الأُسبوعِ الرّابع: سُوَيماتٌ بارِزةٌ كأثَرِ أسنانٍ على لُقمةٍ مَمضوغة

بكلامٍ بسيط

«المُضغة» في العربيّةِ هي **اللُّقمةُ التي مَضَغتَها بأسنانِك**. والجَنينُ في هذه المرحلةِ كُتلةٌ صغيرةٌ عليها نُتوءاتٌ وأخاديدُ تُشبِهُ أثَرَ الأسنانِ على قِطعةِ عِلك.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لا شيءَ يُعرَفُ عن هذه المرحلة. وأيُّ محاولةٍ لتَخيُّلِها كانت ستَصِفُ الجَنينَ إمّا دَماً أو صورةَ إنسانٍ صغير. أمّا وصفُه بأنّه **شيءٌ مَمضوغٌ عليه آثارُ أسنان** فوصفٌ عَجيبٌ لا يَخطُرُ لأحدٍ لم يَرَه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

في الأُسبوعِ الرّابعِ تَظهَرُ على ظَهرِ الجَنينِ كُتَلٌ مُتتالِيةٌ تُسمّى **«السُّوَيمات» (Somites)** تَفصِلُ بينها أخاديدُ عَميقة، فيبدو الجَنينُ كقِطعةٍ مَمضوغة. وقد صَوَّرَ عالِمُ الأجِنّةِ كيث مور قِطعةَ عِلكٍ مَمضوغةً بجانبِ جَنينٍ في هذه المرحلةِ فكان التَّشابُهُ لافِتاً. وبعضُ هذه الكُتَلِ يَتَمايَزُ إلى أعضاء، وبعضُها يَزول.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

العِبارةُ التّاليةُ هي الأدقّ: «مُخَلَّقةٍ **وغيرِ مُخَلَّقة**» – أي أنّ المُضغةَ الواحدةَ فيها جُزءٌ يَصيرُ خَلْقاً وجُزءٌ لا يَصير. وهذه حقيقةٌ جَنينيّةٌ دَقيقة: بعضُ الخَلايا تتمايَزُ إلى أنسِجةٍ وأعضاء، وبعضُها يَموتُ مَوتاً مُبَرمَجاً لتَنحيتِ ما لا يُحتاجُ إليه (وهو ما يُسمّى اليومَ Apoptosis). فوصفُ الانقسامِ داخل الكُتلةِ الواحدة، في زمنٍ لم يُرَ فيه الجَنينُ أصلاً، لا يُفسَّرُ بالحَدس.

٣٠

كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ... أصلُه الماء

وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ

سورة الأنبياء – الآية ٣٠

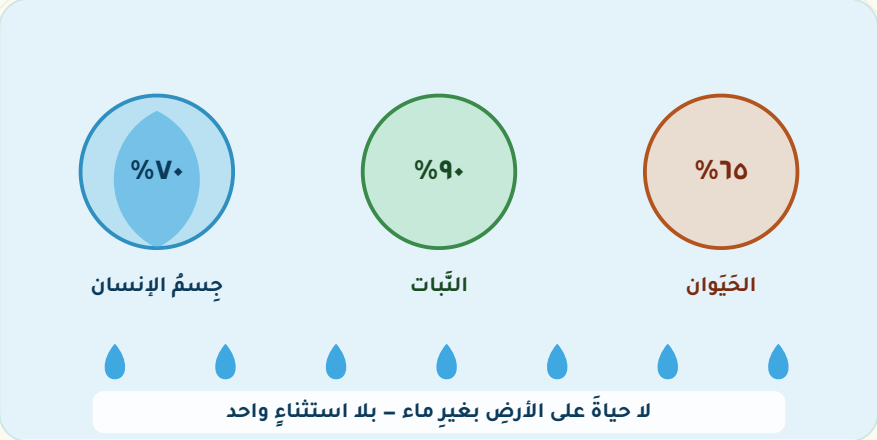

كلُّ كائنٍ حيٍّ عُرِفَ حتّى اليوم يَحتاجُ الماءَ ولا قِيامَ له بدونه

بكلامٍ بسيط

كلُّ شيءٍ حيٍّ – إنسانٌ أو حيوانٌ أو نباتٌ أو حتّى أصغرُ جُرثومة – **أصلُه الماء**. ولا يستطيعُ أن يعيشَ بغيرِه. جِسمُك أنت نحوُ سبعينَ في المئةِ ماء.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

في صحراءَ قاحِلة، حيث الماءُ نادِرٌ وأكثرُ الأرضِ رَملٌ وصَخر، كان أبعدَ ما يَخطُرُ أن يكونَ الماءُ أصلَ **كلِّ** حَيّ. والفلاسفةُ اختلفوا في أصلِ الأشياءِ بين نارٍ وهواءٍ وتُرابٍ وماء، ولم يكن لأحدٍ برهانٌ يَحسِمُ.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الخَلِيّةُ الحيّة – وهي وَحدةُ الحياةِ كلِّها – يُشكِّلُ الماءُ نحوَ ٧٠٪ من كُتلتِها، وفيه تجري كلُّ التّفاعلاتِ الحيويّة. ولا يُعرَفُ حتّى اليومِ كائنٌ حيٌّ واحدٌ يَستغني عن الماء. ولذلك فإنّ أوّلَ ما تبحثُ عنه وكالاتُ الفضاءِ حين تُفتِّشُ عن حياةٍ في كوكبٍ آخَر هو **الماء** – شِعارُهم المُعلَن: «اتْبَعِ الماء».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

مَوضِعُ الإعجازِ في لفظةِ «**كُلَّ**». فالآيةُ لم تقُل: الماءُ سَبَبٌ للحياة، ولا: أكثرُ الأحياءِ من ماء – بل جعلت الماءَ أصلاً لِكُلِّ حَيٍّ بلا استثناء. وهذه **قاعدةٌ كُلّيّةٌ قابِلةٌ للتّكذيب**: يكفي أن يُوجَدَ كائنٌ حيٌّ واحدٌ لا يَحتاجُ الماءَ لتَسقُط. وقد فتّشَ العلمُ أربعةَ عشرَ قرناً في كلِّ بيئةٍ على الأرض – في الجَليدِ وفي الحِمَمِ وفي أعماقِ المُحيطاتِ وفي المُفاعِلاتِ النّوويّة – فلم يجد استثناءً واحداً.

٣١

النّارُ مَخزونةٌ في الشَّجَرِ الأخضَر

الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ

سورة يس – الآية ٨٠

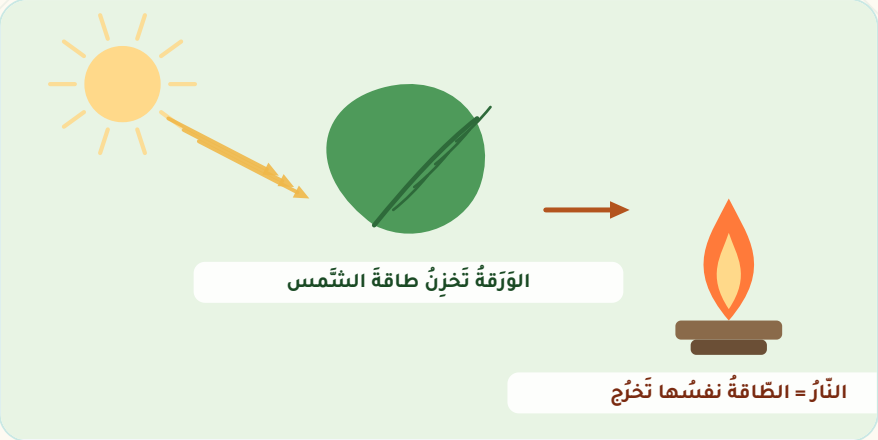

الشّجرةُ تَخزِنُ ضوءَ الشّمسِ داخِلَها، والنّارُ تُطلِقُه ثانيةً

بكلامٍ بسيط

النّارُ التي تَشتعِلُ في الحَطَبِ ليست جديدة – هي **ضوءُ الشّمسِ نفسُه** الذي خَزَنَته الشّجرةُ وهي خَضراءُ حيّة. حين تُشعِلُ الخَشَب، أنت تُطلِقُ شمساً قديمةً مَحبوسة.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الأخضرُ الرَّطبُ ضِدُّ النّارِ في كلِّ عقل: الغُصنُ الأخضرُ لا يَشتَعِل، والجافُّ يَشتَعِل. فنِسبةُ النّارِ إلى **«الشَّجَرِ الأخضَر»** بالذّاتِ بدت مُخالِفةً للمُشاهَدةِ اليوميّة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

التّمثيلُ الضّوئيّ: الوَرَقةُ الخَضراءُ تلتقطُ فوتوناتِ الشّمسِ وتُحوِّلُها إلى طاقةٍ كيميائيّةٍ مَخزونةٍ في رَوابِطِ جُزَيئاتِ السُّكَّرِ والسِّليلوز. والاحتِراقُ هو العمليّةُ المَعكوسةُ تماماً: يَكسِرُ تلك الرّوابطَ فيُطلِقُ الطّاقةَ ضَوءاً وحَرارة. كلُّ وَقودٍ نستعمِلُه – الخَشَبُ والفَحمُ والبترولُ والغاز – هو طاقةُ شمسٍ خَزَنَها نباتٌ أخضَر.

لماذا هذا معجزةٌ قاطعة؟

التّخصيصُ هو المُعجِز. لم تقُل الآيةُ «من الشَّجَرِ ناراً»، بل قالت «من الشَّجَرِ **الأخضَرِ**» – وحالُ الخُضرةِ هي بالذّاتِ حالُ التّمثيلِ الضّوئيِّ والتّخزين. أي أنّ النّارَ مَنسوبةٌ إلى المرحلةِ التي **تُدَّخَرُ** فيها الطّاقة، لا إلى المرحلةِ التي تُحرَق. والخَشَبُ الجافُّ إنّما يَشتعِلُ بما جَمَعَه وهو أخضَر. هذا رَبطٌ سَبَبيٌّ صحيحٌ تماماً بين حالةٍ ونتيجةٍ لم تُفهَم إلّا بعد اكتشافِ الكلوروفيل سنة ١٨١٧.

٣٢

بَصمةُ الأصابع... هُوِيَّتُك الوَحيدة

أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ

سورة القيامة – الآيتان ٣-٤

ثَمانيةُ مِلياراتِ إنسان... ثَمانيةُ مِلياراتِ بَصمةٍ مُختلِفة

بكلامٍ بسيط

أطرافُ أصابِعِك عليها خُطوطٌ دَقيقة. هذه الخُطوطُ **لا تَتَكَرَّرُ في إنسانٍ آخَر أبداً** – ولا حتّى في أخيك التَّوأمِ المُتَطابِقِ الذي يُشبِهُك في كلّ شيء.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

أطرافُ الأصابعِ جُزءٌ عاديٌّ من الجِلد، لا أحدَ يَنظُرُ إليها ولا يَراها مُميِّزة. ولم يَخطُر لأحدٍ أنّ فيها ما يُفَرِّقُ بين إنسانٍ وإنسان. ولم تُستَعمَل البَصَماتُ للتَّعريفِ رسميّاً إلّا سنة ١٨٩٢ في الأرجنتين.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

خُطوطُ البَنانِ تَتَكوّنُ في الأُسبوعِ العاشرِ من الحَمل، وتَتَحدَّدُ بتَفاعُلٍ مُعقَّدٍ بين الجينات وضُغوطِ السّائلِ الأمنيوسيّ داخلَ الرَّحِم، فتَخرُجُ **فَريدةً مُطلَقاً**. وهي ثابتةٌ مَدى الحَياةِ لا تَتَغيَّرُ ولا تُمحى، وتَعودُ كما كانت حتّى لو احتَرَقَ الجِلدُ السَّطحيّ. وعليها تَقومُ أنظمةُ الهُوِيّةِ في العالمِ كلِّه.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

السِّياقُ هو المِفتاح. الآيةُ تَتَحدَّثُ عن بَعثِ الأمواتِ وجَمعِ العِظام. وحين يَأتي الرَّدُّ على المُستَبعِدِ لذلك، كان المُنتَظَرُ أن يُقالَ: بلى قادرين على أن نَجمَعَ عِظامَه. لكنّ الجَوابَ جاء بشيءٍ أدَقّ: «بلى قادِرين على أن نُسَوِّيَ **بَنانَه**» – أي إعادةَ تَسويةِ أطرافِ أصابِعِه. فتَخصيصُ **البَنانِ** بالذّاتِ من بين كلِّ أجزاءِ الجَسَد، في مَقامِ إثباتِ القُدرةِ على إعادةِ الشَّيءِ **كما كان بعَينِه**، إشارةٌ إلى أنّها مَوضِعُ التَّفَرُّدِ والهُوِيّة. وهذا ما لم يُعرَف إلّا بعد اثنَي عشرَ قرناً.

٣٣

صافّاتٍ ويَقبِضْن

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ

سورة المُلك – الآية ١٩

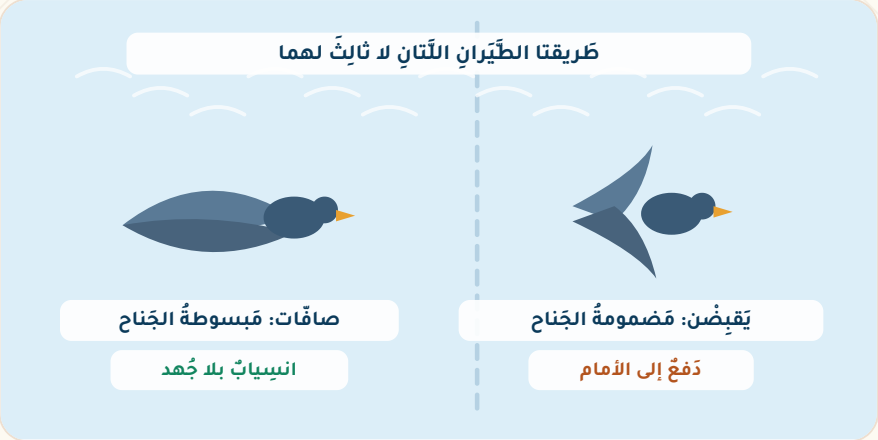

التَّحليقُ بجَناحٍ مَبسوطٍ والخَفقُ بجَناحٍ مَقبوض: كلُّ طَيَرانٍ في الأرضِ أحدُهما

بكلامٍ بسيط

الطَّيرُ يَطيرُ بطَريقتَينِ فقط: إمّا أن **يَبسُطَ جَناحَيه** فيَنسابَ في الهَواءِ بلا حَرَكة، وإمّا أن **يَقبِضَهما** ويَخفِقَ ليَدفَعَ نفسَه. والقرآنُ ذَكَرَ الاثنَتَينِ ولم يَزِد.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الطَّيَرانُ كان مَشهَداً يُرى ولا يُحَلَّل. ولم يكن أحدٌ يُفَرِّقُ بين نَمَطَي الطَّيَرانِ ولا يَعرِفُ أيُّهما يُنتِجُ الرَّفعَ وأيُّهما يُنتِجُ الدَّفع. وظلّ الإنسانُ يُحاولُ الطَّيَرانَ بتَقليدِ خَفقِ الأجنِحةِ ويَفشَلُ قُروناً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

عِلمُ الدِّيناميكا الهَوائيّةِ يُقَسِّمُ طَيَرانَ الطُّيورِ إلى نَمَطَينِ لا ثالِثَ لهما: **التَّحليقُ الشِّراعيّ** (Gliding/Soaring) بجَناحٍ مَبسوطٍ ثابتٍ يَستَثمِرُ التَّيّاراتِ الصّاعدة، و**الطَّيَرانُ الخافِق** (Flapping) بقَبضِ الجَناحِ وبَسطِه لتَوليدِ الدَّفع. وعلى المَبدأ الأوّل – الجَناحِ المَبسوطِ الثّابت – بُنِيَت الطّائراتُ كلُّها. ولم يَنجَح الإنسانُ في الطَّيَرانِ إلّا حين تَرَكَ تَقليدَ الخَفقِ وأخَذَ بالبَسط.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الحَصرُ في نَمَطَينِ اثنَينِ هو الدَّقّةُ الأولى. والدَّقّةُ الثّانيةُ في **الصِّيغة**: «صافّاتٍ» جاءت اسمَ فاعِلٍ يَدُلُّ على الثَّباتِ والدَّوام، و«يَقبِضْنَ» جاءت فِعلاً مُضارِعاً يَدُلُّ على التَّجَدُّدِ والتَّقَطُّع. وهذا هو الفَرقُ الفيزيائيُّ بعَينِه: البَسْطُ حالةٌ مُستَمِرّة، والقَبْضُ حَرَكةٌ مُتَكَرِّرة. والدَّقّةُ الثّالثة: تَقديمُ «صافّاتٍ» على «يَقبِضْن» – لأنّ الجَناحَ المَبسوطَ هو الأصلُ الذي يُولِّدُ قوّةَ الرَّفع، والخَفقُ زِيادةٌ عليه.

٣٤

تَقليبُ أهلِ الكَهفِ... ووِقايةُ قُرحِ الفِراش

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ

سورة الكهف – الآية ١٨

بروتوكولُ العِنايةِ بالمَريضِ الرّاقِدِ في كلِّ مُستَشفى اليوم

بكلامٍ بسيط

نامَ أهلُ الكَهفِ مُدّةً طَويلةً جِدّاً، وكان اللهُ **يُقَلِّبُهم يَميناً وشِمالاً**. والطِّبُّ اليومَ يَقولُ: المَريضُ الرّاقِدُ بلا حَرَكةٍ **تَتَقَرَّحُ جِلدُه ويَتَعَفَّنُ لَحمُه** – وعِلاجُه الوَحيدُ هو التَّقليب.

ماذا كانَ النّاسُ يظنّون؟

النَّومُ في نَظَرِ النّاسِ راحةٌ مَحضة، لا ضَرَرَ فيه مَهما طال. ولم يَكُن يُعرَفُ أنّ **ثَباتَ الجِسمِ على وَضعٍ واحد** يُتلِفُ الأنسِجة. فذِكرُ التَّقليبِ في قِصّةِ نَومٍ طَويلٍ بَدا تَفصيلاً لا حاجةَ إليه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

قُرحُ الفِراش (Bedsores / Pressure Ulcers): يَنشَأُ حين يَضغَطُ وَزنُ الجِسمِ على مَوضِعٍ واحدٍ فيَنقَطِعُ عنه الدَّم، فتَموتُ الخَلايا ويَتَقَرَّحُ الجِلدُ ثمّ العَضَلُ ثمّ العَظم. ويَبدأُ التَّلَفُ خِلالَ **ساعَتَينِ فقط** من الثَّباتِ التامّ. وهو من أخطَرِ مُضاعَفاتِ الرُّقادِ الطَّويلِ وقد يَقتُل. والوِقايةُ المُعتَمَدةُ في كلِّ بروتوكولٍ تَمريضيٍّ في العالَم: **تَقليبُ المَريضِ كلَّ ساعَتَينِ يَميناً وشِمالاً**.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انتَبِه إلى أنّ الآيةَ لم تَذكُرِ التَّقليبَ عَبَثاً ولا زِينةً في القَصّ. بل جاء في سِياقِ بَيانِ **كيف حُفِظَت أجسادُهم** تلك المُدّةَ الطَّويلة. وهذا يَقتَضي عِلماً بأنّ الجَسَدَ السّاكِنَ يَتلَفُ، وأنّ **التَّقليبَ هو العِلاج**. والدِّقّةُ تَزيدُ في اللَّفظ: «ذاتَ اليَمينِ وذاتَ الشِّمال» – وهذا هو بالضّبطِ الوَضعُ الجانِبيُّ المُوصى به طِبّيّاً (وَضعِيّةُ ٣٠ دَرَجة)، لأنّه يَرفَعُ الضَّغطَ عن العَجُزِ والكَعبَينِ وهي أخطَرُ المَواضِع. ثمّ تَفصيلٌ آخَرُ في الآيةِ نَفسِها: «**وكَلبُهم باسِطٌ ذِراعَيه بالوَصيد**» – وبَسطُ الذِّراعَينِ وَضعُ راحةٍ لا حِراسة، وهو ما يَفعَلُه الكَلبُ حين يَطولُ رُقادُه.

٣٥

الحديدُ... أُنزِلَ ولم يُخلَق هنا

وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ

سورة الحديد – الآية ٢٥

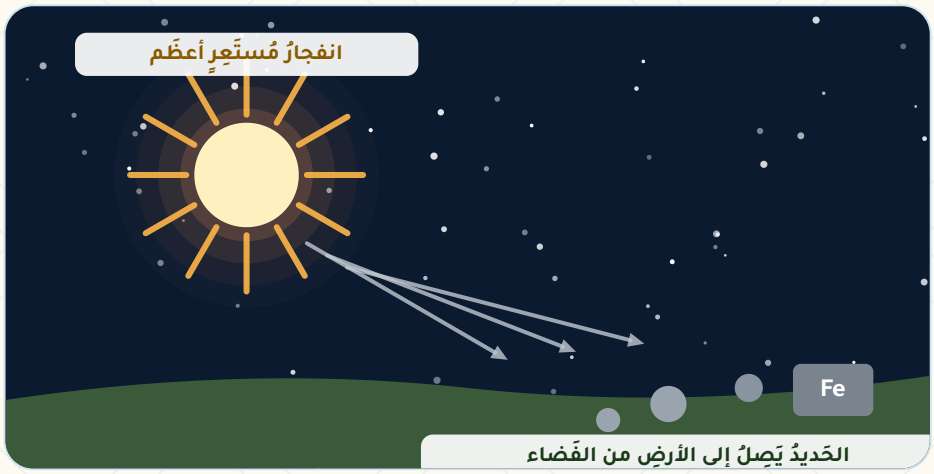

كلُّ ذَرّةِ حديدٍ في الأرضِ – وفي دَمِك – وُلِدَت داخل نَجم

بكلامٍ بسيط

كلُّ الحديدِ الموجودِ في الأرضِ، وحتّى الحديدُ الذي في دَمِك، لم يُصنَع هنا. جاءَ من **انفجارِ نجومٍ عملاقةٍ في الفضاء**، ثمّ سقطَ على الأرض. والقرآنُ لم يقل «خَلَقنا الحديد»، قال: **«أَنزَلْنا»**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

المعادنُ عند النّاسِ تُستخرَجُ من باطنِ الأرض، فهي من الأرضِ ومن جِنسِها. ولم يكن هناك أيُّ تصوُّرٍ لأن يكونَ مَعدِنٌ بعينِه **وافِداً من خارجِ الكوكب**.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الاندماجُ النّوويُّ داخل النّجومِ يُنتِجُ العناصرَ حتّى الحديد – ثمّ يتوقّف، لأنّ تكوينَ الحديدِ **يَستهلِكُ طاقةً ولا يُنتِجُها**. فلا يمكنُ لأيِّ نجمٍ عاديٍّ أن يَصنعَ ما هو أثقلُ منه. وحدَها انفجاراتُ المُستَعِرِ الأعظمِ (Supernova) تَقذِفُ الحديدَ في الفضاء. وكوكبُنا وكلُّ حديدِه تَجمَّعا من هذا الغُبارِ النّجميّ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

القرآنُ استعملَ فِعلَ «الإنزال» مع الحديدِ بعينِه، في سياقٍ يتحدّثُ عن إرسالِ الرُّسُلِ وإنزالِ الكُتُب – أي في سياقِ ما يأتي **من فوق**. وهذا هو الواقعُ الفيزيائيُّ حرفيّاً. ويُضافُ إليه أنّ العددَ الذّرّيَّ للحديدِ ٢٦ ورقمَه الكُتليَّ ٥٦، وسورةَ الحديدِ هي السّورةُ رقم ٥٧ في المُصحَف، وترتيبُ الآيةِ ٢٥ في العدِّ المُعتمَد. لكنّ الدّليلَ الأقوى يبقى كلمةً واحدة: «أَنزَلنا».

٣٦

حَولانِ كامِلانِ للرَّضاعة

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ

سورة البقرة – الآية ٢٣٣

مُنظَّمةُ الصِّحّةِ العالَميّة	القُرآن – قبل ١٤٠٠ سنة
٢٤ شَهراً	**٢٤ شَهراً**
«سَنَتانِ فأكثَر»	«حَولَينِ كامِلَين»
تَوصِيةٌ مُعتَمَدةٌ عالَمِيّاً	لمن أرادَ الإتمام

الرَّقمُ نفسُه… بفارِقِ أربعةَ عشرَ قَرناً

تَوصِيةُ مُنظَّمةِ الصِّحّةِ العالَمِيّةِ تُطابِقُ الآيةَ مُدّةً ومَبدأً

بكلامٍ بسيط

القرآنُ حَدَّدَ مُدّةَ الرَّضاعةِ الكامِلةِ بـ **سَنَتَينِ تامَّتَين**. ومُنظَّمةُ الصِّحّةِ العالَميّةُ اليومَ تُوصي بالمُدّةِ نفسِها بالضّبط.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

مُدّةُ الرَّضاعةِ كانت تَختَلِفُ بين الأُمَمِ اختِلافاً واسِعاً بحسبِ العادةِ والظُّروف، من شُهورٍ قَليلةٍ إلى سَنَواتٍ طَويلة، بلا أساسٍ عِلميّ. ولم تَكُن هناك أيُّ وَسيلةٍ لمعرفةِ المُدّةِ المِثاليّةِ لِنُمُوِّ الطِّفلِ ومَناعَتِه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

تُوصي مُنظَّمةُ الصِّحّةِ العالَميّةِ واليونيسف برَضاعةٍ طَبيعيّةٍ **خالِصةٍ ستّةَ أشهُر**، ثمّ مُواصَلَتِها مع الطَّعامِ التَّكميليِّ **حتّى سَنَتَينِ أو أكثَر**. وثَبَتَ أنّ حَليبَ الأُمِّ يَنقُلُ أجساماً مُضادّةً تَبني مَناعةَ الطِّفل، ويُقَلِّلُ وَفَياتِ الرُّضَّعِ والالتِهاباتِ ومَرَضَ السُّكَّريّ، ويَرتَبِطُ بنُمُوٍّ إدراكيٍّ أفضَل.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الدِّقّةُ ليست في الرَّقمِ وحدَه، بل في **القَيدِ المُرافِقِ له**: «لِمَن أرادَ أن يُتِمَّ الرَّضاعة». فالآيةُ لم تَفرِض السَّنَتَينِ فَرضاً جامِداً، بل جَعَلَتهما **سَقفَ الإتمامِ المُستَحَبّ** – وهو عينُ صِياغةِ التَّوصِيةِ الطِّبّيّةِ الحَديثة («سَنَتانِ أو أكثَر» لا «سَنَتانِ إلزاماً»). ثمّ زادت الآيةُ في المُرونة: أجازت الفِطامَ المُبَكِّرَ بتَراضي الوالِدَينِ وتَشاوُرِهما، وأجازت الاسترضاعَ من مُرضِعةٍ أُخرى. فهي تُوافِقُ الطِّبَّ في الرَّقمِ وفي رُوحِ التَّوصِيةِ معاً.

٣٧

هُزّي إليكِ بجذعِ النَّخلة

وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ۝ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا

سورة مريم – الآيتان ٢٥-٢٦

التَّمرُ يُوصى به اليومَ للحَوامِلِ في الأسابيعِ الأخيرةِ وبعدَ الوِلادة

بكلامٍ بسيط

امرأةٌ تَلِدُ وَحدَها تحتَ نَخلة، فيُقالُ لها: **كُلي الرُّطَب**. والطِّبُّ اليومَ يَقولُ إنّ التَّمرَ من أفضلِ ما تَأكُلُه المرأةُ عند الوِلادةِ وبعدَها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الرُّطَبُ طَعامٌ مَعروفٌ ومُحَبَّب، لكن لم يَكُن يُعرَفُ له أثَرٌ طِبّيٌّ مُحَدَّدٌ في الوِلادة. والنَّصيحةُ المُعتادةُ للنُّفَساءِ كانت الرّاحةَ والدِّفءَ والحَساء. وأمّا تَخصيصُ تَمرةٍ بعَينِها في هذه اللَّحظةِ بالذّاتِ فتَحديدٌ لافِت.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

دِراساتٌ سَريريّةٌ مَنشورةٌ في مَجَلّاتٍ مُحَكَّمةٍ أثبَتَت أنّ تَناوُلَ التَّمرِ في الأسابيعِ الأخيرةِ من الحَملِ **يُقَصِّرُ مُدّةَ المَخاضِ ويُقَلّلُ الحاجةَ إلى تَحفيزِ الوِلادة**. والتَّمرُ غَنِيٌّ بسُكَّرِ الفركتوز والغلوكوز سَريعِ الامتِصاص – وهو ما تَحتاجُه الوالِدةُ بعد استِنفادِ طاقَتِها – وبالبوتاسيومِ والحَديدِ والمَغنيسيوم، وفيه مُرَكَّباتٌ تَعمَلُ عَمَلَ **الأوكسيتوسين** فتُساعِدُ الرَّحِمَ على الانقِباضِ وتُقَلّلُ النَّزف.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لاحِظ ثَلاثةَ أشياءَ في الأمر. الأوّل: الثَّمَرةُ المُحَدَّدةُ – التَّمرُ بالذّاتِ دون غيرِه، وهو أنسَبُ غِذاءٍ مُمكِنٍ لهذه الحالة. الثّاني: الحالةُ المُحَدَّدةُ – «**رُطَباً جَنِيّاً**»، أي التَّمرَ الطَّريَّ الطّازَجَ لا الجافّ، وهو أسرَعُ امتِصاصاً وأسهَلُ هَضماً. الثّالثُ وهو الأعجَب: الأمرُ بأن **تَهُزَّ الجِذعَ** – وامرأةٌ في أشَدِّ لَحَظاتِ الضَّعفِ تُؤمَرُ بالحَرَكةِ والجُهد. والطِّبُّ الحَديثُ يُوصي بالحَرَكةِ أثناءَ المَخاضِ لأنّها تُسَرِّعُ الوِلادة. غِذاءٌ وحَرَكةٌ ونَفسِيّةٌ («وقَرّي عَيناً») – بروتوكولٌ كامِل.

٣٨ لِمَ حُرِّمَ الدَّمُ المسفوحُ ولَحمُ الخِنزير؟

قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ

سورة الأنعام – الآية ١٤٥

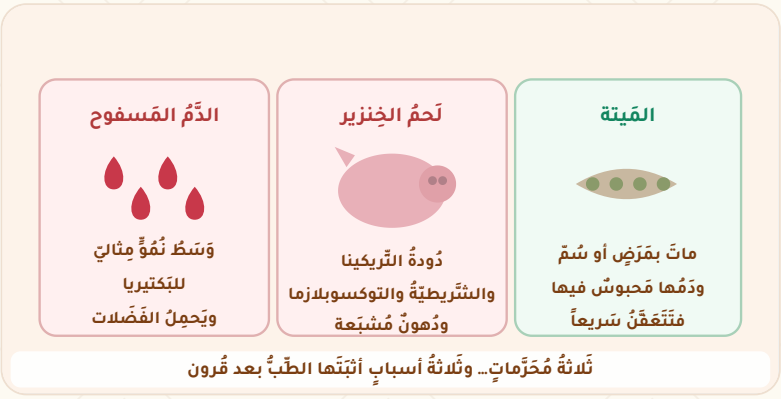

التَّحريمُ سَبَقَ معرفةَ السَّبَبِ بأربعةَ عشرَ قَرناً

بكلامٍ بسيط

القرآنُ حَرَّمَ ثَلاثةَ أطعِمة: الدَّمَ السّائِل، ولَحمَ الخِنزير، والحَيَوانَ الذي ماتَ وَحدَه. والعِلمُ اليومَ يُبيِّنُ أنّ كلَّ واحدٍ منها **ناقِلٌ مَعروفٌ للأمراض**.

ماذا كانَ النّاسُ يظنّون؟

اختِيارُ الأطعِمةِ كان بالعادةِ والذَّوقِ والوَفرة. ولم تَكُن هناك مَعرِفةٌ بالطُّفَيليّاتِ ولا بالبَكتيريا ولا بانتِقالِ الأمراضِ من الحَيَوانِ إلى الإنسان. وكان الخِنزيرُ يُؤكَلُ في مُعظَمِ حَضاراتِ الأرضِ بلا تَحَفُّظ.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الدَّمُ أمثَلُ وَسَطٍ لنُمُوِّ البَكتيريا، ويَحمِلُ الفَضَلاتِ الأيضيّةَ والهُرموناتِ والسُّمومَ المُتَّجِهةَ إلى الكُلى. **ولَحمُ الخِنزيرِ** ناقِلٌ رَئيسيٌّ لدُودةِ التِّريكينا التي تَتَحَوصَلُ في العَضَلاتِ وتُقاوِمُ الطَّهيَ الخَفيف، وللدُّودةِ الشَّريطيّةِ الخِنزيريّةِ التي قد تَصِلُ يَرَقاتُها إلى الدِّماغ، وللتوكسوبلازما، إضافةً إلى ارتِفاعِ دُهونِه المُشبَعة. **والمَيتةُ** قد ماتت بمَرَضٍ أو سُمّ، ودَمُها مَحبوسٌ في أنسِجَتِها فتَتَعَفَّنُ بسُرعة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

القَيدُ الدَّقيقُ هو «**مَسفوحاً**». فالتَّحريمُ لم يَقَع على كلِّ دَم، بل على الدَّمِ السّائلِ المُراقِ عند الذَّبح. أمّا ما يَبقى مُتَخَلِّلاً في الأنسِجةِ – وهو المِيوغلوبين – فمَعفُوٌّ عنه، ولا سبيلَ لإزالَتِه أصلاً. فالتَّحريمُ **مُنضَبِطٌ بدِقّةٍ عِلميّةٍ لا تُفَرِّطُ ولا تُفرِط**. ومِثلُه الذَّكاةُ: اشتَرَطَت قَطعَ الأوداجِ لإسالةِ الدَّمِ كلِّه – وهو ما تُوصي به مَعاييرُ سَلامةِ اللُّحومِ اليومَ تَقليلاً للحِمْلِ البَكتيريّ. تَشريعٌ كامِلٌ يَتَّسِقُ مع عِلمٍ لم يُولَد بعد.

النَّملُ يتكلَّمُ ويُحذِّرُ

حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ

سورة النَّمل – الآية ١٨

نَملةٌ تُنذِرُ مُستَعمَرَتَها فتَنسَحِبُ كلُّها إلى الجُحور

بكلامٍ بسيط

نَملةٌ صغيرةٌ رأت جَيشاً قادِماً، فأنذَرَت بقيّةَ النَّملِ ليَدخُلوا بُيوتَهم. والعِلمُ يقول: النَّملُ فِعلاً **يُرسِلُ إنذاراتٍ** فتَستَجيبُ المُستَعمَرةُ كلُّها فوراً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الحَيَوانُ في التَّصوُّرِ القديمِ كائنٌ أعجَمُ لا لُغةَ له ولا تَنظيم. وأن تَصدُرَ من نَملةٍ جُملةٌ فيها **نِداءٌ وأمرٌ وتَحذيرٌ وتَعليلٌ وعُذرٌ للمُعتَدي** («وهم لا يَشعُرون») – بَدا هذا للسّامعِ قِصّةً رَمزيّةً لا خَبَراً واقِعيّاً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

النَّملُ من أرقى الكائناتِ الاجتِماعيّةِ تَنظيماً. ويَتَواصَلُ بثَلاثِ طُرُقٍ مُثبَتة: **الفيروموناتِ** الكيميائيّة – ولكلِّ رِسالةٍ مادّةٌ خاصّة، ومنها فيرومونُ الإنذارِ الذي يَنتَشِرُ فتَستَجيبُ المُستَعمَرةُ في ثَوانٍ؛ و**الطَّرقُ والاهتِزاز**؛ و**الصَّوت** – إذ اكتُشِفَ أنّ للنَّملِ عُضواً يُسمّى (Stridulatory organ) يُصدِرُ أصواتاً مُحدَّدةَ المعنى، سُجِّلَت وحُلِّلَت مُختَبَرِيّاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّفاصيلُ الصَّغيرةُ هي البُرهان. أوّلاً: الفِعلُ «**قالَت**» بصيغةِ المُؤنَّث – والنَّملُ العامِلُ الذي يَخرُجُ ويَحرُسُ ويُنذِرُ **إناثٌ كلُّه**، والذُّكورُ لا وَظيفةَ لها سوى التَّلقيحِ ثمّ تَموت. ثانياً: الأمرُ بالدُّخولِ إلى «**مَساكِنِكم**» – وبُيوتُ النَّملِ مَساكِنُ حقيقيّةٌ مُقَسَّمةٌ إلى غُرَفٍ وأنفاقٍ ومَخازِن. ثالثاً: «لا يَحطِمَنَّكم» – والحَطْمُ هو الكَسْرُ، وجِسمُ النَّملةِ هَيكَلٌ خارِجيٌّ صُلبٌ **يَنكَسِرُ ولا يَنسَحِق**. ثَلاثُ دَقائقَ في آيةٍ واحدة.

٤٠

ثَلاثُمِئةٍ وازدادوا تِسعاً

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا

سورة الكهف – الآية ٢٥

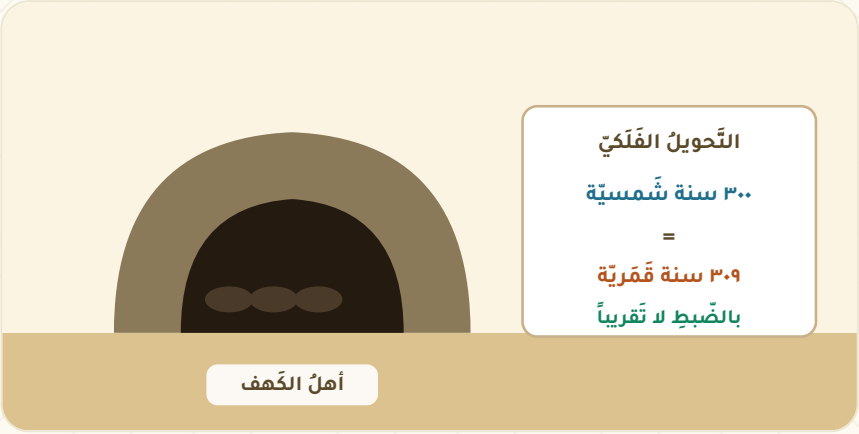

الفَرقُ بين التَّقويمَين هو تِسعُ سِنينَ بالتَّمامِ على ثَلاثةِ قُرون

بكلامٍ بسيط

القرآنُ قال إنّهم لَبِثوا **ثَلاثَمِئةِ سنة**، ثمّ أضافَ: **«وازدادوا تِسعاً»**. والسَّبَبُ بَديع: ثَلاثُمِئةِ سنةٍ شَمسيّةٍ تُساوي تماماً ثَلاثَمِئةٍ وتِسعَ سِنينَ قَمَريّة.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان النّاسُ يَستَعمِلونَ تَقويماً واحداً في كلّ بيئة، ولا يُجرونَ تَحويلاً بين تَقويمَين. وإضافةُ «تِسعاً» بعدَ رَقمٍ مُدَوَّرٍ بَدَت زِيادةً غَريبةً لا مَعنى لها، حتّى ظَنَّها بعضُ القُرّاءِ تَرَدُّداً في الرَّقم.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

السَّنةُ الشَّمسيّةُ ٣٦٥٫٢٤٢٢ يوماً، والسَّنةُ القَمَريّةُ ٣٥٤٫٣٦٧ يوماً. فثَلاثُمِئةِ سنةٍ شَمسيّةٍ = ١٠٩٥٧٢٫٦ يوماً. وإذا قُسِمَ هذا على طولِ السَّنةِ القَمَريّةِ نَتَجَ **٣٠٩٫٢** سنةً قَمَريّة. أي أنّ الفَرقَ هو تِسعُ سِنينَ بالضّبط. وأهلُ الكَهفِ كانوا في بيئةٍ رُومِيّةٍ تَستَعمِلُ التَّقويمَ الشَّمسيّ، والقرآنُ يُخاطِبُ قَوماً يَستَعمِلونَ القَمَريّ – فأعطى الرَّقمَ بالتَّقويمَين معاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لو كان الرَّقمُ اعتِباطيّاً لَجاء «ثَلاثَمِئةِ سنة» ووَقَف، أو «ثَلاثَمِئةٍ ونَيِّفاً». لكنّ الزِّيادةَ جاءت **مُحَدَّدةً بتِسعٍ بالضّبط** – وهي بعَينِها ناتِجُ التَّحويلِ الفَلَكيّ. ولاحِظ الصِّياغة: «ثَلاثَ مِئةٍ سِنين **وازدادوا تِسعاً**» – فالفِعلُ «ازدادوا» يُشيرُ إلى أنّ التِّسعَ ليست مُدّةً أُخرى قَضَوها، بل **زِيادةٌ في العَدِّ لا في الزَّمَن** – أي أنّ الزَّمَنَ واحدٌ والعَدَدَ اختَلَفَ باختِلافِ التَّقويم. وهذا هو التَّفسيرُ الوَحيدُ الذي يَستَقيمُ حِسابيّاً ولُغَويّاً معاً.

٤١

ثَمودُ الذين نَحَتوا الجِبالَ بُيوتاً

وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ۝ ... ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ

سورة الشُّعَراء ١٤٩ – وسورة الحِجر ٨٢

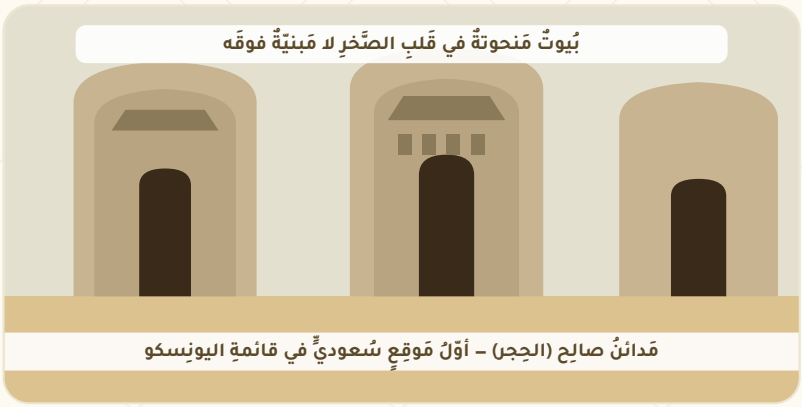

واجِهاتٌ ضَخمةٌ نُحِتَت من أعلى الصَّخرةِ إلى أسفَلِها – لا تَقبَلُ خَطأً واحداً

بكلامٍ بسيط

القرآنُ قال إنّ قَومَ ثَمودَ كانوا **يَنحِتونَ بُيوتَهم داخِلَ الجِبال** – لا يَبنونها بالحِجارة، بل يَحفِرونَ الجَبَلَ نفسَه ويَصنَعونَ منه بَيتاً. وهذه البُيوتُ مَوجودةٌ اليومَ ويَراها الزُّوّار.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

البِناءُ المَعروفُ في الجَزيرةِ طينٌ وحِجارةٌ وسَعَف. وفِكرةُ حَضارةٍ كامِلةٍ تَنحِتُ مَساكِنَها في بُطونِ الجِبالِ كانت غَريبةً على المُخاطَبين. وقد سَمّى القرآنُ قَوماً بأعيانِهم لا ذِكرَ لهم في التَّوراةِ ولا في كُتُبِ اليونان، ونَسَبَ إليهم تِقنيةً بِنائيّةً مُحَدَّدة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

مَدائنُ صالِح (الحِجر) في العُلا شَماليَّ السُّعوديّة: أكثَرُ من ١٣٠ واجِهةً مَنحوتةً في الصَّخرِ الرَّمليّ، بعضُها يَتَجاوَزُ عِشرينَ متراً ارتفاعاً، بأعمِدةٍ وتيجانٍ وشُرُفاتٍ ونُقوشٍ ثَموديّةٍ ونَبَطيّة. وقد أُدرِجَت سنة ٢٠٠٨ كأوّلِ مَوقِعٍ سُعوديٍّ في قائمةِ التُّراثِ العالَميّ لليونِسكو. والمَوقِعُ مَذكورٌ باسمِه في القرآن: «ولقد كَذَّبَ **أصحابُ الحِجرِ** المُرسَلين».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الفِعلُ المُستَعمَلُ هو الفَيصَل: «**يَنحِتون**» لا «يَبنون». والنَّحتُ في العربيّةِ إزالةُ المادّةِ من الكُتلةِ الصَّمّاء، وهو عَكسُ البِناءِ تماماً. ثمّ التَّخصيص: «**من الجِبال**» – أي أنّ الجَبَلَ نفسَه هو مادّةُ البَيت. وهذا وَصفٌ دَقيقٌ لِتِقنيّةٍ لا تُشبِهُ شيئاً ممّا حَولَ المُخاطَبين. وأضافَ وَصفاً نَفسيّاً بالِغَ الدَّلالة: «**آمِنين**» – فهذه البُيوتُ لا تَنهارُ ولا تَحتَرِقُ ولا يَهدِمُها عَدُوّ، فهي الصَّخرُ نفسُه. وبذلك يَشتَدُّ مَعنى الآيةِ: أعظَمُ أمانٍ هَندَسيٍّ لم يُغنِ عنهم شيئاً.

٤٢

أصحابُ الأُخدُود... حَفَروا ناراً للمُؤمِنين

قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ

سورة البُروج – الآيات ٤-٧

مَذبَحةٌ تاريخيّةٌ مُوَثّقةٌ في نُقوشٍ يَمَنيّةٍ وفي رَسائلَ سُريانيّةٍ مُعاصِرة

بكلامٍ بسيط

القرآنُ ذَكَرَ قَوماً حَفَروا **حُفرةً طَويلة** وأشعَلوا فيها النّار، ثمّ ألقَوا فيها المُؤمِنينَ وجَلَسوا يَتَفَرَّجون. وهذه واقِعةٌ تاريخيّةٌ حَقيقيّةٌ مُسَجَّلةٌ في نُقوشٍ حَجَريّة.

ماذا كانَ النّاسُ يظنّون؟

لم تَكُن هذه الحادِثةُ مَذكورةً في كُتُبِ العَرَبِ بتَفصيلٍ مَوثوق، ولا كان لها سَنَدٌ مَكتوبٌ مُتاحٌ في مكّة. وهي قِصّةٌ عن أُمّةٍ أُخرى وزَمَنٍ سابِقٍ وأرضٍ بَعيدة.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

التّاريخُ يُثبِتُ مَجزَرةَ **نَجران** سنة ٥٢٣ م تقريباً، حين اضطَهَدَ المَلِكُ الحِميَريُّ **ذو نُواس** نَصارى نَجرانَ فأحرَقَ من رَفَضَ الرُّجوعَ عن دِينِه. والحادِثةُ مُوَثَّقةٌ في: **نَقشِ حِصنِ غُراب** ونُقوشِ بئرِ حِمى الحِميَريّة، وفي **رِسالةِ شَمعون الأرشاميِّ السُّريانيّة** المُعاصِرةِ للحَدَث، وفي المَصادِرِ البيزنطيّةِ والحَبَشيّة. وقد اكتُشِفَت في العُلا وبئرِ حِمى نُقوشٌ تَذكُرُ الحَملةَ وأعدادَ القَتلى.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الدِّقّةُ في التَّفاصيلِ الصَّغيرةِ هي التي تَفصِل. «**الأُخدُود**» في العربيّةِ هو الشَّقُّ الطَّويلُ المُستَقيمُ في الأرض – لا الحُفرةُ المُستَديرة. وهذا يُطابِقُ وَصفَ الخَنادِقِ المَحفورة. و«**ذاتِ الوَقود**» تُفيدُ أنّ النّارَ أُمِدَّت بوَقودٍ مُتَجَدِّدٍ لا نارٌ عارِضة. و«**عليها قُعود**» و«**شُهود**»: أي أنّ الجُناةَ جَلَسوا يُشاهِدون – وهي تَفصيلةٌ تُطابِقُ ما وَرَدَ في رِسالةِ شَمعون من أنّ المَلِكَ حَضَرَ التَّنفيذَ بنفسِه. ولاحِظ أنّ القرآنَ لم يُسَمِّ المَلِكَ ولا القَومَ – لأنّ الغَرَضَ العِبرةُ لا السَّرد.

سَبَأٌ وسَيلُ العَرِم

فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ

سورة سَبَأ – الآية ١٦

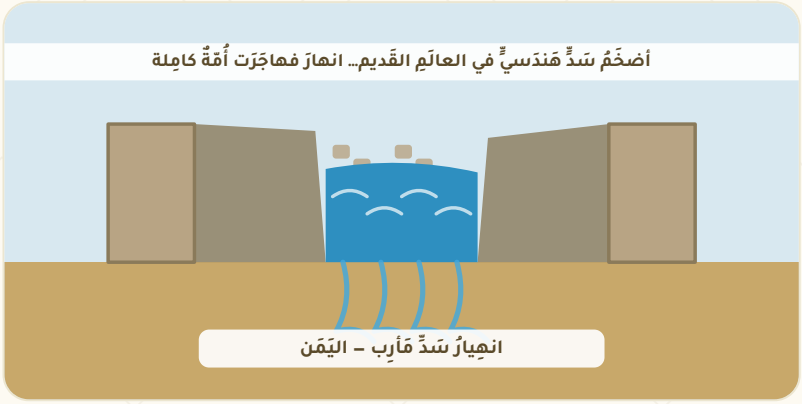

بَقايا السَّدِّ العِملاقِ ما زالت قائمةً في مَأرِبَ إلى اليوم

بكلامٍ بسيط

كانت في اليَمَنِ مَملَكةٌ غَنِيّةٌ اسمُها **سَبَأ**، تَعيشُ على سَدٍّ عَظيمٍ يَسقي جَنّاتِها. فانهارَ السَّدّ، وجَرَفَ السَّيلُ كلَّ شيء، وتَحَوَّلَت الجَنّاتُ إلى شَجَرٍ مُرٍّ لا يُؤكَل.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

سَبَأٌ كانت في ذاكِرةِ العَرَبِ اسماً في الشِّعرِ والأمثال – «تَفَرَّقوا أيدي سَبَا». لكن لم تَكُن هناك آثارٌ مَكشوفةٌ ولا نُقوشٌ مَقروءة. وكان المُؤَرِّخونَ الغَربيّونَ يَشُكُّونَ في وُجودِ المَملَكةِ أصلاً ويَعُدُّونها مَزيجاً من الأسطورة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

سَدُّ مَأرِب أثَرٌ قائمٌ اليوم: بُنِيَ في القَرنِ الثّامنِ قبل الميلادِ تقريباً، بطولٍ يُقارِبُ ٦٠٠ متر، وكان يَسقي نحوَ عَشَرةِ آلافِ هِكتار. وقد وُثِّقَت انهِياراتُه في **نُقوشٍ سَبَئِيّةٍ مُسنَدِيّة** عُثِرَ عليها في المَوقِع – منها نَقشُ أبرَهَةَ الشَّهيرُ الذي يَصِفُ إصلاحَ السَّدِّ سنة ٥٤٨ م. والانهِيارُ النِّهائيُّ نحوَ سنة ٥٧٠-٥٨٠ م أدّى إلى **هِجرةِ قَبائلَ يَمَنيّةٍ كاملةٍ** إلى الشّمال – وهي هِجرةٌ مَعروفةٌ في أنسابِ العَرَبِ وتاريخِهم.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ لم تَكتَفِ بذِكرِ الانهِيار، بل وَصَفَت ما حَلَّ بالأرضِ بعدَه وَصفاً نَباتيّاً دَقيقاً: «جَنَّتَينِ ذَواتَي **أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وشَيءٍ من سِدرٍ قَليل**». والخَمطُ الشَّجَرُ المُرُّ الشَّوكيّ، والأَثلُ نوعٌ من الطَّرفاء، والسِّدرُ شَجَرُ النَّبِق – وهذه بالضّبطِ هي **نَباتاتُ البيئةِ الجافّةِ المِلحِيّةِ** التي تَحُلُّ مَحَلَّ الزِّراعةِ حين يَنقَطِعُ الرَّيُّ وتَملَحُ التُّربة. ثمّ قال: «وشَيءٍ من سِدرٍ **قَليل**» – تَقليلٌ في مَوضِعِه، إذ السِّدرُ أنفَعُها وأقَلُّها.

٤٤

بَدَنُ فِرعَون... مَحفوظٌ لِيَكونَ آيَة

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً

سورة يونس – الآية ٩٢

جُثّةٌ عُمرُها أكثَرُ من ثَلاثةِ آلافِ سنة... ما زالت مَوجودة

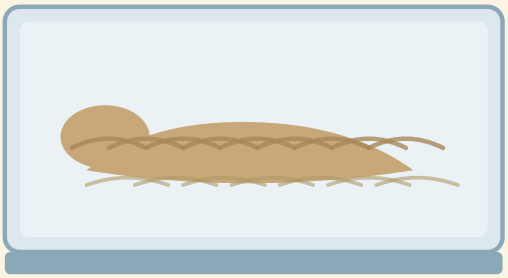

مُتحَفُ القاهرة – قاعةُ المُومياواتِ المَلَكيّة

جَسَدُ فِرعَونَ مَعروضٌ اليومَ خَلفَ زُجاجٍ يَراه النّاسُ بأعيُنِهم

بكلامٍ بسيط

حين غَرِقَ فِرعَونُ في البَحر، قال اللّهُ إنّه سيَحفَظُ **جَسَدَه** ليَراه مَن يَأتي بعدَه ويَعتَبِر. والجَسَدُ مَوجودٌ اليومَ في مُتحَفٍ يَزورُه النّاسُ من كلِّ الدُّنيا.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الذي يَغرَقُ في البَحرِ يَذهَبُ جَسَدُه: تَأكُلُه الأسماكُ أو يَتَحَلَّلُ أو يَضيعُ في الرِّمال. وحين نَزَلَت الآيةُ لم يَكُن أحدٌ من العَرَبِ يَعلَمُ شيئاً عن التَّحنيطِ المَلَكيِّ ولا عن مَقابِرِ الفَراعِنة. بل إنّ اللُّغةَ الهيروغليفيّةَ نفسَها كانت مَنسيّةً تماماً، ولم تُفَكَّ رُموزُها إلّا سنة ١٨٢٢.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

اكتُشِفَت خَبيئةُ المُومياواتِ المَلَكيّةِ في الدَّيرِ البَحريِّ سنة ١٨٨١، ثمّ مَقبَرةُ أمنحتب الثّاني سنة ١٨٩٨، فظَهَرَت أجسادُ فَراعِنةِ الدَّولةِ الحَديثة. وجَسَدُ **مِرنِبتاح** – وهو أشهَرُ المُرَشَّحينَ لِفِرعَونِ الخُروج – مَحفوظٌ في مُتحَفِ القاهرة. وقد فُحِصَ بالأشِعّةِ فتَبَيَّنَ ما يَتَّفِقُ مع مَوتٍ عَنيفٍ وإصاباتٍ في الجُمجُمةِ والرَّقَبة، ولاحَظَ الفاحِصونَ تَرَسُّباتٍ مِلحِيّةً على الجِلد.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ لم تَقُل «نُنَجّيكَ» فقط، بل خَصَّت: «**بِبَدَنِكَ**» – أي بالجَسَدِ وحدَه دون الرُّوح. وهذا تَمييزٌ دَقيقٌ يُفَرِّقُ بين نَجاةِ الشَّخصِ ونَجاةِ جُثَّتِه. ثمّ عَلَّلَت: «**لِتَكونَ لِمَن خَلفَكَ آية**» – أي أنّ بَقاءَ الجَسَدِ نفسَه هو الغَرَض، فهو مُعَدٌّ ليُرى. ونَزَلَ هذا في صَحراءَ لا عِلمَ لأهلِها بمُومياواتٍ ولا مَقابِر، وقبل ألفٍ ومِئَتَي سنةٍ من فَتحِ تلك المَقابِرِ وعَرضِ أصحابِها في صالاتِ الزُّجاج.

٤٥

مَخطوطاتٌ أثبَتَها الكَربون

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

سورة الحِجر – الآية ٩

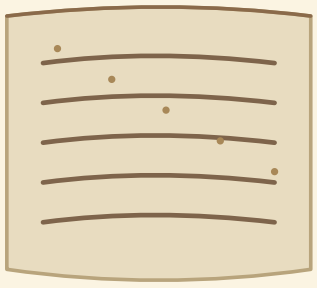

جامِعةُ بِرمِنغهام – بِريطانيا

مَخطوطُ بِرمِنغهام

تَأريخٌ بالكَربون ١٤

٥٦٨ - ٦٤٥ م

باحتِماليّةِ ٩٥%

نَصُّه يُطابِقُ المُصحَفَ اليوم

رِقٌّ من حَياةِ النَّبيِّ ﷺ أو بُعَيدَها، ونَصُّه هو نَصُّ اليوم

بكلامٍ بسيط

القرآنُ تَعَهَّدَ بأن يَبقى مَحفوظاً لا يَتَغَيَّر. واليومَ عِندَنا **مَخطوطاتٌ مُؤَرَّخةٌ بالكَربونِ المُشِعّ** تَرجِعُ إلى زَمَنِ النَّبيِّ ﷺ تقريباً – ونَصُّها هو نَصُّ المُصحَفِ الذي بين يَدَيك حَرفاً بحَرف.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الكُتُبُ القَديمةُ كلُّها تَتَعَرَّضُ للزِّيادةِ والنَّقصِ والتَّبديلِ عبر النَّسخِ والتَّرجَمة. وهذا مَصيرٌ طَبيعيٌّ لأيِّ نَصٍّ يُنقَلُ يَدَوِيّاً قُروناً. فدَعوى الحِفظِ التامِّ كانت **دَعوى قابِلةً للتَّكذيبِ بأيِّ مَخطوطٍ مُخالِف**.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

مَخطوطُ بِرمِنغهام: رِقٌّ فُحِصَ بالكَربون ١٤ في جامعةِ أُكسفورد سنة ٢٠١٥، فأُرِّخَ بين **٥٦٨ و٦٤٥ م** باحتِماليّةِ ٩٥٪. ومَخطوطُ صَنعاءَ السُّفليّ، ومَخطوطُ توبِنغن، ومَخطوطُ سَمَرقَند، والمَصاحِفُ الكُبرى في إسطنبولَ والقاهرة. وقد قارَنَ باحِثونَ – مُسلِمونَ وغيرُ مُسلِمين – هذه المَخطوطاتِ بالمُصحَفِ المُتَداوَلِ اليوم، فكانت المُطابَقةُ في النَّصِّ شِبهَ تامّةٍ عَدا اختِلافاتٍ إملائيّةٍ في رَسمِ الحُروفِ لا تُغَيِّرُ لَفظاً ولا مَعنى.

لماذا هذا معجزةٌ قاطعة؟

الحِفظُ لم يَقُم على المَخطوطاتِ وحدَها، بل على **نِظامٍ مُزدَوَجٍ فَريدٍ في تاريخِ البَشَر**: كِتابةٍ مُدَقَّقة، و**حِفظٍ في الصُّدورِ بالتَّواتُر**. وفي كلِّ جِيلٍ يَحفَظُه مِئاتُ الآلافِ من البَشَرِ في بِلادٍ مُتَباعِدةٍ لا تَجمَعُهم سُلطة، فيَستَحيلُ عَمَلِيّاً أن يَتَّفِقوا على تَبديلِ حَرف. والنَّصُّ نَفسُه **أعلَنَ هذا التَّعَهُّدَ في وَقتٍ كان فيه أضعَفَ ما يَكون** – جَماعةٌ مُطارَدةٌ في مكّة. أن يَصمُدَ نَصٌّ أربعةَ عشرَ قَرناً بلا نُسخَتَينِ مُختَلِفَتَين أمرٌ لا نَظيرَ له في أيِّ كِتابٍ آخَرَ على وَجهِ الأرض.

٤٦ لَتَدخُلُنَّ المسجِدَ الحَرامَ آمِنين

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ﷺ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ

سورة الفَتح – الآية ٢٧

وَعْدٌ بدُخولٍ آمِنٍ... صَدَرَ في أشَدِّ لَحَظاتِ المَنع

بكلامٍ بسيط

مُنِعَ المُسلِمونَ من دُخولِ مكّة، ورَجَعوا من الطَّريقِ مَهزومي النُّفوس. فنَزَلَت آيةٌ تَعِدُهم بأنّهم **سيَدخُلونَ البَيتَ آمِنين**. وبعدَ سَنَتَينِ دَخَلوا مكّةَ فاتِحين بلا قِتالٍ ولا خَوف.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

سنة ٦ للهِجرة، عند الحُدَيبِيَة، رُدَّ المُسلِمونَ عن البَيتِ وصالَحوا قُرَيشاً على شُروطٍ رآها كثيرٌ منهم إجحافاً، حتّى قال عُمَرُ: «عَلامَ نُعطي الدَّنِيّةَ في ديننا؟». وكانت مكّةُ في ذُروةِ قُوَّتِها، والمُسلِمونَ أقَلَّ عَدَداً وعُدّة. ولم يَكُن في الأُفُقِ ما يُشيرُ إلى فَتحٍ قَريب.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

سنة ٨ للهِجرة (٦٣٠ م) دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ مكّةَ على رأسِ عَشَرةِ آلاف، **بلا مَعركةٍ تُذكَر**، وأعلَنَ العَفوَ العامّ: «اذهَبوا فأنتم الطُّلَقاء». وطافَ المُسلِمونَ بالبَيتِ آمِنين، وحَلَقوا وقَصَّروا. وهذا من أكثَرِ أحداثِ التّاريخِ الإسلاميِّ تَوثيقاً، وتُجمِعُ عليه المَصادِرُ كلُّها.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّفاصيلُ الصَّغيرةُ في الآيةِ هي ما يَرفَعُها من الأملِ إلى النُّبوءة. لم تَقُل: «سَتَفتَحونَ مكّة» فحَسب، بل حَدَّدَت **حالَ الدُّخول**: «**آمِنين**» – لا فاتِحينَ بعدَ حَربٍ ضارية؛ و«**لا تَخافون**» – تَوكيدٌ للأمنِ التامّ؛ و«**مُحَلِّقينَ رُؤوسَكم ومُقَصِّرين**» – أي أنّهم سيُؤَدُّونَ النُّسُكَ كامِلاً في طُمَأنينة، وهو ما لا يَكونُ إلّا مع سَيطرةٍ تامّةٍ على المدينة. أربعُ تَفاصيلَ في جُملةٍ واحدة، وَقَعَت كلُّها.

٤٧

وادٍ لا زَرعَ فيه... صارَ أكثَرَ بِقاعِ الأرضِ زَحمة

رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ

سورة إبراهيم – الآية ٣٧

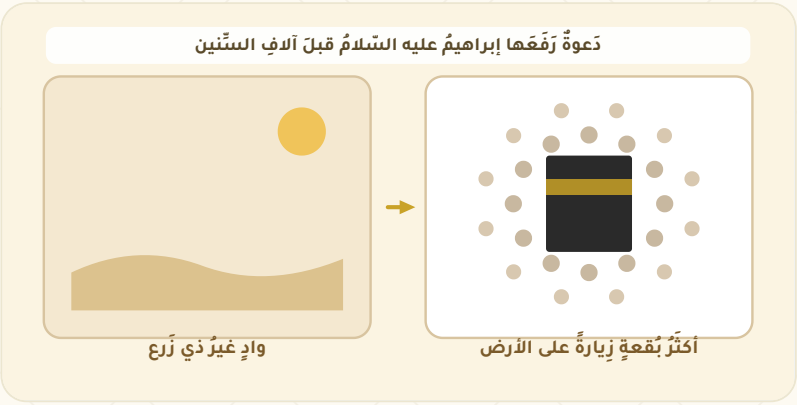

أرضٌ لا تُنبِتُ شيئاً... وتَجِدُ فيها ثِمارَ الدُّنيا كلّها

بكلامٍ بسيط

دَعا إبراهيمُ عليه السّلامُ وهو يَترُكُ زَوجَه وطِفلَه في وادٍ **لا ماءَ فيه ولا زَرع**، أن يَجعَلَ اللّهُ قُلوبَ النّاسِ تَشتاقُ إليهم وأن يَرزُقَهم الثَّمَرات. وهذا الوادي هو اليومَ **أكثَرُ مَكانٍ يَقصِدُه البَشَرُ على وَجهِ الأرض**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان الوادي صَحراءَ جَرداءَ بين جِبالٍ قاحِلة، لا نَهرَ ولا عَينَ ولا طَريقَ تِجارةٍ آنَذاك. ولا شَيءَ فيه يَدعو أحداً إلى قَصدِه. والدُّعاءُ نَفسُه غَريبٌ في صِياغَتِه: لم يَطلُب زَرعاً ولا ماءً للأرض، بل طَلَبَ أمرَين مُنفَصِلَين: **قُلوباً تَهوي**، و**ثَمَراتٍ تُرزَق**.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

مكّةُ اليومَ: يَقصِدُها في مَوسِمِ الحَجِّ وَحدَه أكثَرُ من مِليونَي إنسانٍ في أيّامٍ مَعدودة، ويَعتَمِرُها المَلايينُ على مَدارِ السَّنة. وتُرفَعُ إليها وُجوهُ أكثَرَ من مِليارٍ وثَمانِمِئةِ مِليونِ إنسانٍ **خَمسَ مَرّاتٍ كلَّ يوم**. وأرضُها لم تَتَغَيَّر: ما زالت وادِياً غيرَ ذي زَرع. ومع ذلك تَجِدُ في أسواقِها ثِمارَ الأرضِ كلِّها، تَأتيها من كلِّ قارّةٍ طَوالَ العام. وقد بَقِيَت بِئرُ زَمزَمَ تَتَدَفَّقُ أربعةَ آلافِ سنةٍ في قَلبِ صَحراء.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الإعجازُ في **بِنيةِ الدُّعاءِ نَفسِها**. فالطَّبيعيُّ لمن يَترُكُ أهلَه في صَحراءَ أن يَدعُوَ بأن تُخصِبَ الأرضُ أو يَنزِلَ المَطَر. لكنّه دَعا بأن **تَهوِيَ إليهم أفئدةُ النّاس** – أي أن يَأتيَهم الرِّزقُ بالنّاسِ لا بالأرض. ودَقَّقَ فقال «**أفئدةً من النّاس**» لا «النّاسَ كلَّهم» – فلو دَعا بالكلِّ لَضاقَ المَكانُ عن حَمْلِهم. ثمّ قال «**تَهوي**» لا «تَأتي» – والهُوِيُّ سُقوطٌ بشَوقٍ وانجِذاب، لا مَجيءُ مُكرَه. وهذا وَصفٌ دَقيقٌ لحالِ مَن يَرى الكَعبةَ لأوّلِ مَرّة. دُعاءٌ صيغَ بهذه الدِّقّة، ثمّ تَحَقَّقَ حَرفاً على مَدى أربعةِ آلافِ سنة.

٤٨

سِوارا كِسرى في يَدِ سُراقة

قَالَ لِسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكٍ: كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟

رواه البَيهقيّ وابنُ عبدِ البَرّ وغيرُهما

رَجُلٌ خَرَجَ لِيَقتُلَه طَمَعاً في مئةِ ناقة.. فوَعَدَه بكُنوزِ كِسرى

بكلامٍ بسيط

خَرَجَ سُراقةُ يُطارِدُ النَّبيَّ ﷺ يومَ الهِجرةِ طَمَعاً في الجائزة. فقال له النَّبيُّ ﷺ: **كيف بكَ إذا لَبِستَ سِوارَي مَلِكِ فارِس؟** وبعدَ سِنينَ لَبِسَهما فِعلاً في خِلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطّاب.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

اللَّحظةُ التي قيلَ فيها الكَلامُ هي **أحرَجُ لَحظةٍ في السّيرةِ كلِّها**: النَّبيُّ ﷺ هارِبٌ من بَلَدِه، مُطارَدٌ، لا يَملِكُ إلّا راحِلتَه ورَفيقَه، وعلى رأسِه مئةُ ناقةٍ لمن يَأتي به. وفارِسُ يَومَئذٍ إحدى أعظَمِ إمبراطوريَّتَينِ في الأرض، وكِسرى يُمَزِّقُ كِتابَ النَّبيِّ ﷺ ساخِراً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

في خِلافةِ عُمَرَ بنِ الخَطّابِ سَقَطَت الدَّولةُ السّاسانيّةُ وفُتِحَ المَدائن، وحُمِلَت كُنوزُ كِسرى إلى المَدينة. فدَعا عُمَرُ سُراقةَ بنَ مالِكٍ وألبَسَه **سِوارَي كِسرى وتاجَه ومِنطَقَتَه**، وقال له: «قُل: الحَمدُ للهِ الذي سَلَبَهما كِسرى بنَ هُرمُزَ وألبَسَهما سُراقةَ بنَ مالِكٍ أعرابيّاً من بَني مُدلِج». والخَبَرُ مَرويٌّ في كُتُبِ الحَديثِ والتّاريخِ من طُرُقٍ مُتَعَدِّدة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

النُّبوءةُ هنا تَجمَعُ ثَلاثةَ أشياءَ يَستَحيلُ اجتِماعُها بالحَدس: **شَخصٌ مُعَيَّنٌ بالاسم** (سُراقة)، و**شَيءٌ مُعَيَّنٌ بعَينِه** (سِوارا كِسرى لا أيُّ غَنيمة)، و**حَدَثٌ سِياسيٌّ هائل** (سُقوطُ فارِسَ ووُصولُ كُنوزِها إلى العَرَب). وقِيلَت لرَجُلٍ كان في تلك اللَّحظةِ **عَدُوّاً يُطارِدُه**، لا صاحِباً يُبَشِّرُه. ولو أُريدَ التَّألُّفُ لكانت أدنى الوَعودِ أنفَع. أمّا أن يُوعَدَ عَدُوٌّ مُطارِدٌ بكُنوزِ أعظَمِ إمبراطوريّةٍ في الأرضِ، من رَجُلٍ لا يَملِكُ يومَها إلّا نَفسَه – فهذا كَلامُ واثِقٍ من مَصدَرٍ غيرِ بَشَريّ.

٤٩

يُكَوِّرُ اللَّيلَ على النَّهار

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ

سورة الزُّمَر – الآية ٥

اللّيلُ والنّهارُ يتَعَقّبانِ حول كُرةِ الأرضِ في دورانٍ لا يتوقّف

بكلامٍ بسيط

كلمةُ «يُكَوِّر» تأتي من «الكُرَة» ومن «تكويرِ العِمامة» – أي **لَفُّ شيءٍ على شيءٍ مُستَدير**. فاللّيلُ يَلُفُّ الأرضَ كما تَلُفُّ العِمامةُ الرّأس. ولا يكونُ اللَّفُّ إلّا على جِسمٍ كُرَويّ.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان الشّائعُ عند عامّةِ النّاسِ في كلِّ مكانٍ أنّ الأرضَ سَطحٌ مُنبسِط، وأنّ اللّيلَ **يحلُّ محلَّ** النّهارِ ويَزولُ به. حتّى من قال بكُرَويّتِها من فلاسفةِ اليونان، لم يَربِط ذلك بحركةِ لَفٍّ مستمرّةٍ لخطِّ اللّيلِ والنّهار.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

الأرضُ كُرةٌ (مُفلطَحةٌ قليلاً عند القُطبَين)، والشّمسُ تُضيءُ نِصفَها دائماً. ودورانُ الأرضِ حول نفسِها يجعلُ **خطَّ الفَصلِ بين اللّيلِ والنّهار** يزحفُ على سطحِها بلا توقُّف – أي أنّ اللّيلَ يلتفُّ حول الكرةِ حرفيّاً، ولا يزولُ بل ينتقل. وهو ما تراه بعينِك في أيِّ صورةٍ حيّةٍ للأرضِ من قمرٍ صناعيّ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

اختيارُ فعلٍ من مادّةِ «الكُرَة» لوصفِ تَعاقُبِ اللّيلِ والنّهارِ لا يستقيمُ معناه على سطحٍ مُسطَّح. والأدقُّ من ذلك: الآيةُ تجعلُ التّكويرَ **مُتبادَلاً في الاتّجاهَين** «يُكوِّرُ اللّيلَ على النّهارِ ويُكوِّرُ النّهارَ على اللّيل» – وهذا لا يَصِفُه إلّا من يرى دوراناً مُستمرّاً على جِسمٍ كُرَويّ. وفي موضعٍ آخَر: «والأرضَ بعدَ ذلك **دَحاها**» – والدَّحوُ في العربيّة هو البَسطُ مع الاستدارة، ومنه «الأُدحِيَّة» وهي بيضةُ النَّعام.

٥٠

السَّماءُ ذاتُ الرَّجع

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ

سورة الطّارق – الآية ١١

الماءُ يصعدُ بُخاراً ويرجِعُ مَطَراً – دورةٌ مُغلَقةٌ لا يَضيعُ منها شيء

بكلامٍ بسيط

السّماءُ تأخذُ الماءَ من البحرِ بُخاراً، ثمّ **تُرجِعُه** إلينا مَطَراً. كلُّ قطرةٍ تشربُها اليومَ شربَها إنسانٌ قبلك، وسيشربُها إنسانٌ بعدك. الماءُ لا يَنفَد، يَرجِع.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

المَطَرُ كان يُفهَمُ على أنّه ماءٌ **جديدٌ** يُنزِلُه اللّهُ من خزائنَ في السّماء، لا ماءٌ عائدٌ من الأرضِ نفسِها. والرّبطُ بين بُخارِ البحرِ وقَطرِ المَطَرِ لم يكن معروفاً؛ لم تُوصَف دورةُ الماءِ وصفاً كامِلاً في أوروبّا إلّا في القرنِ السّابعَ عشر.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

دورةُ الماء: تبخُّرٌ من المُسطّحاتِ المائيّة ← تكاثُفٌ في السَّحاب ← هُطولٌ ← جَريانٌ ← تبخُّر. كمّيّةُ الماءِ على الأرضِ **ثابتةٌ منذ مليارات السّنين**، تدورُ ولا تزيدُ ولا تنقُص. والغِلافُ الجوّيُّ لا يَرُدُّ الماءَ وحدَه، بل يَرُدُّ الحرارةَ وموجاتِ الرّاديو أيضاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لفظةٌ واحدةٌ «الرَّجْع» تَحمِلُ المعنى كلَّه. الرَّجْعُ هو **عَودةُ الشّيءِ إلى مَوضِعِه**، لا مجرّدُ نُزوله. فوصفُ السّماءِ بهذه الصّفةِ يُقرِّرُ أنّ ما ينزلُ منها كان قد صَعِدَ إليها. وهو تلخيصٌ كامِلٌ لدورةِ الماءِ في كلمتَين. ويُؤكِّدُها قولُه في موضعٍ آخَر: «وأنزَلْنا من السّماءِ ماءً **بِقَدَرٍ**» – أي بكَمّيّةٍ مُقدَّرةٍ ثابتةٍ لا تتغيّر.

٥١

ماءٌ بقَدَرٍ... لا يَزيدُ ولا يَنقُص

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ

سورة المُؤمنون – الآية ١٨

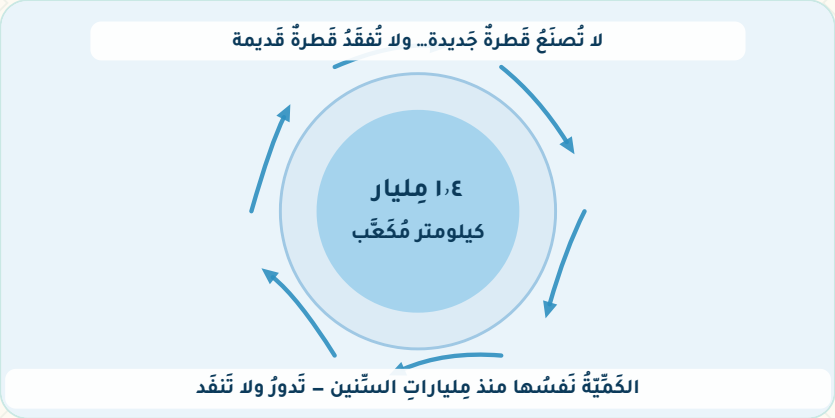

مِيزانٌ مائيٌّ ثابِتٌ على مُستَوى الكَوكَبِ كلّه

بكلامٍ بسيط

كَمِّيّةُ الماءِ على الأرضِ **ثابِتةٌ لا تَزيدُ ولا تَنقُص**. الماءُ الذي شَرِبَه الدّيناصورُ هو نَفسُه الذي تَشرَبُه اليوم. وكلمةُ «**بقَدَر**» في الآيةِ تَعني: بمِقدارٍ مَحسوبٍ مَضبوط.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

المَطَرُ كان يُفهَمُ على أنّه ماءٌ جَديدٌ يُنزَلُ من خَزائنَ في السَّماءِ كلَّما احتاجَ النّاس. ولم تَكُن فِكرةُ **كَمِّيّةٍ مُغلَقةٍ ثابِتةٍ تَدورُ** مَوجودةً في أيِّ ثَقافة. والبَديهيُّ أنّ ماءَ البَحرِ يَنقُصُ بالتَّبَخُّرِ وأنّ المَطَرَ إضافةٌ جَديدة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

حَجمُ الماءِ على الأرضِ يُقَدَّرُ بنَحوِ **١٫٤ مِليار كيلومترٍ مُكَعَّب**، وهو ثابِتٌ تَقريباً منذ مِلياراتِ السِّنين. يَتَبَخَّرُ ويَتَكاثَفُ ويَهطِلُ ويَجري ويَعودُ – في دورةٍ مُغلَقةٍ لا تُضيفُ ولا تَحذِف. والغِلافُ الجَوّيُّ والمَجالُ المِغناطيسيُّ يَمنَعانِ تَسَرُّبَ بُخارِ الماءِ إلى الفَضاء – وهو ما لم يَحدُث في المِرّيخ، فتَبَخَّرَ ماؤه وضاعَ فصارَ صَحراءَ مَيِّتة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

القَيدُ «**بقَدَر**» هو مَوضِعُ الإعجاز، ولا مَعنى له إلّا مع ثَباتِ الكَمِّيّة. فلو كان الماءُ يُنشَأُ جَديداً كلَّما نَزَلَ، لَما كان لتَقديرِه مَعنًى. والأدَقُّ منه ما يَليه: «**فأسكَنّاه في الأرض**» – والإسكانُ يُفيدُ الاستِقرارَ والبَقاءَ لا الاستِهلاك؛ فالماءُ مَخزونٌ في الأرضِ لا مُستَهلَكٌ فيها. ثمّ التَّحذيرُ الأخير: «**وإنّا على ذَهابٍ به لَقادِرون**» – أي أنّ هذا المِيزانَ نِعمةٌ يُمكِنُ أن تُرفَع. وهو ما يَراه العُلَماءُ اليومَ حَقيقةً قائمةً في المِرّيخِ الذي فَقَدَ ماءَه كلَّه.

٥٢

والأرضَ بعدَ ذلكَ دَحاها

وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا

سورة النّازعات – الآيتان ٣٠-٣١

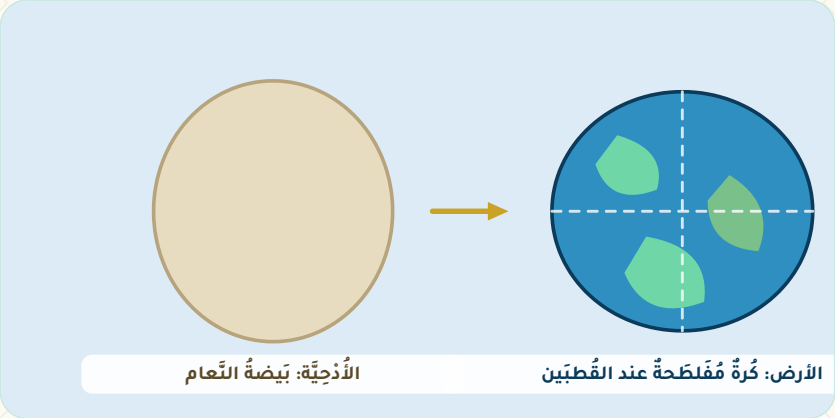

الأرضُ ليست كُرةً تامّة، بل مُفلطَحةٌ قليلاً – كبَيضةِ النَّعام

بكلامٍ بسيط

كلمةُ «دَحا» في العربيّةِ تعني: بَسَطَ الشّيءَ **مع استدارة**. ومنها «الأُدحِيَّة» – وهي المكانُ الذي تَبيضُ فيه النَّعامة، وبَيضةُ النَّعامِ نفسُها. فالأرضُ مَبسوطةٌ لتَمشيَ عليها، ومُستديرةٌ مُفلطَحةٌ في حقيقتِها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الأرضُ في تصوُّرِ عامّةِ النّاسِ سَطحٌ مُنبَسِطٌ لا غير. ومن قال بكُرَويّتِها من الفلاسفةِ قال بكُرةٍ **تامّةِ الاستدارة**. أمّا الفَلطَحةُ عند القُطبَينِ فلم يَقُل بها أحد.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الأرضُ **كُرَويٌّ مُفلطَح** (Oblate Spheroid): قُطرُها عند خطّ الاستواءِ يزيدُ نحوَ ٤٣ كيلومتراً على قُطرِها بين القُطبَين، بسببِ دورانِها حول نفسِها. وقد أثبتَ نيوتن هذا نظريّاً سنة ١٦٨٧، ثمّ قاسَته البَعثاتُ الفرنسيّةُ ميدانيّاً سنة ١٧٣٦. والشَّكلُ الدّقيقُ المُسمّى «الجيويد» أقربُ ما يكونُ إلى شكلِ البَيضة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

اللُّغةُ هنا تَحسِمُ. «دَحا يَدحُو دَحواً» في المعاجمِ العربيّة: بَسَطَ ووَسَّع، و«الأُدْحِيُّ» و«الأُدْحِيَّة»: مَبيضُ النَّعامةِ وبَيضتُها. فالمادّةُ اللُّغويّةُ نفسُها تَجمعُ بين **البَسْطِ والشَّكلِ البَيضاويّ**. واختيارُ هذا الفِعلِ بالذّاتِ – دون «بَسَطَ» أو «مَدَّ» وكِلاهُما في القرآنِ لمَعانٍ أخرى – يَحمِلُ المعنَيَين معاً في كلمةٍ واحدة. والمِفتاحُ أنّ الآيةَ التّاليةَ فسَّرَت المُرادَ بالبَسط: «أخرجَ منها ماءَها ومَرعاها» – أي التَّهيئةَ للسُّكنى، لا التَّسطيح.

٥٣

في العَسَلِ شِفاءٌ للنّاس

يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ

سورة النَّحل – الآية ٦٩

عَسَلٌ خام

ما أثبَتَه الطِّبّ

- يَقتُلُ البَكتيريا
- يُعالِجُ الجُروحَ والحُروق
- يُهَدِّئُ السُّعالَ عند الأطفال
- مُضادٌّ للأكسَدةِ والالتِهاب
- يُستَعمَلُ في المُستَشفَياتِ اليوم

ضِمادُ العَسَلِ الطِّبِّيُّ مُعتَمَدٌ رَسمِيّاً في أوروبّا وأمريكا

ضِمادَاتُ العَسَلِ الطِّبِّيَّةُ تُباعُ اليومَ في الصَّيدَليّاتِ بتَرخيصٍ رَسميّ

بكلامٍ بسيط

القرآنُ قال قبل ١٤٠٠ سنةٍ إنّ في العَسَلِ **شِفاءً**. واليومَ يُستَعمَلُ العَسَلُ في المُستَشفَياتِ لِعِلاجِ الجُروحِ والحُروقِ التي عَجَزَت عنها المُضادّاتُ الحَيَويّة.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

العَسَلُ كان طَعاماً حُلواً وغِذاءً ثَميناً، وكانت تُنسَبُ إليه مَنافِعُ بالتَّجرِبةِ الشَّعبيّة. لكنّ الجَزمَ بأنّ فيه **شِفاءً** على وَجهِ التَّقريرِ الإلهيِّ شيءٌ آخَر – خاصّةً وأنّه يَخرُجُ من بَطنِ حَشَرة، وهو ما قد يُستَبعَدُ منه النَّفعُ عَقلاً.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

العَسَلُ مُضادٌّ حَيَويٌّ طَبيعيٌّ بآليّاتٍ ثَلاث: كَثافتُه السُّكَّريّةُ تَسحَبُ الماءَ من البَكتيريا فتَقتُلُها؛ وحُموضتُه تَمنَعُ نُمُوَّها؛ وإنزيمُ الغلوكوز أوكسيديز فيه يُنتِجُ **ماءَ الأُكسِجين** ببُطءٍ مُستَمِرّ. وقد اعتَمَدَت هيئاتٌ دَوائيّةٌ رَسميّةٌ ضِماداتِ عَسَلِ المانوكا لِعِلاجِ الجُروحِ المُزمِنة، وأوصَت مُنظَّمةُ الصِّحّةِ العالَميّةُ بالعَسَلِ لتَهدِئةِ السُّعالِ عند الأطفال. وقد وُجِدَ عَسَلٌ في المَقابِرِ الفِرعَونيّةِ صالِحاً للأكلِ بعدَ ثَلاثةِ آلافِ سنة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

مَوضِعانِ من الدِّقّةِ لا يُفَسَّرانِ بالتَّجرِبةِ الشَّعبيّة. الأوّل: «مُختَلِفٌ **ألوانُه**» – وهي حقيقةٌ مَعروفةٌ اليومَ أنّ لونَ العَسَلِ وخَواصَّه الطِّبّيّةَ تَختَلِفُ باختِلافِ المَصدَرِ النَّباتيّ، ولذلك يَتَفاوَتُ أثَرُه العِلاجيّ. الثّاني: «يَخرُجُ من **بُطونِها**» – والعَسَلُ يُصنَعُ فِعلاً في **مَعِدةِ العَسَل** وهي كيسٌ داخِليٌّ مُنفَصِلٌ عن مَعِدةِ الهَضم، حيث تُضافُ إليه الإنزيمات، ثمّ يُقذَفُ منها. فالنَّصُّ حَدَّدَ المَصدَرَ التَّشريحيَّ الصَّحيحَ بدَقّة.

٥٤

الشَّمسُ تَجري... وليست ثابتة

وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ

سورة يس – الآية ٣٨

الشّمسُ تسبحُ حول مركزِ المجرّةِ ساحِبةً معها كلَّ كواكِبِها

بكلامٍ بسيط

الشّمسُ ليست واقفةً في مكانها. هي **تجري** بسرعةٍ هائلة، وتَسحبُ معها الأرضَ وكلَّ الكواكب، في رحلةٍ حول مركزِ مجرّتنا.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان النّاسُ يَرَون الشّمسَ تُشرِقُ وتَغرُب، فظنّوا حركتَها مجرّدَ دورانٍ حول الأرض. ثمّ جاء العصرُ الحديثُ فقال: بل الأرضُ هي التي تدور، و**الشّمسُ ثابتةٌ في مركزِ النّظام**. كان هذا هو «العلمَ المستقرَّ» طَوالَ القرنَين السّابعَ عشرَ والثّامنَ عشر.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الشّمسُ تتحرّكُ فِعلاً بثلاثِ حركاتٍ مُثبَتة: تدورُ حول نفسِها كلَّ ٢٥ يوماً تقريباً؛ وتجري حول مركزِ مجرّةِ درب التّبّانة بسرعة نحو **٢٢٠ كيلومتراً في الثّانية** مُكمِلةً دورةً كلَّ ٢٢٥ مليون سنة؛ وتنطلقُ كذلك نحو نقطةٍ في السّماءِ تُسمّى «الأَبِكس».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

انتبه للمُفارقة: الآيةُ نزلت حين كان النّاسُ يظنّون الشّمسَ تدورُ حولهم، فأثبتت لها جَرْياً. ثمّ جاء عصرٌ نفى عنها كلَّ حركةٍ وقال «هي ثابتة»، فبَدَت الآيةُ وكأنّها تُخالفُ العلم. ثمّ جاء العلمُ الأحدثُ فأثبتَ لها جَرياً حقيقيّاً **أعظمَ ممّا تخيّلَ أحد**. نصٌّ واحدٌ صمدَ أمام تغيُّرَين كامِلَين في العلم – وهذا وحدَه دليل.

٥٥ سَقفٌ يَحميك وأنت لا تَراه

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ

سورة الأنبياء – الآية ٣٢

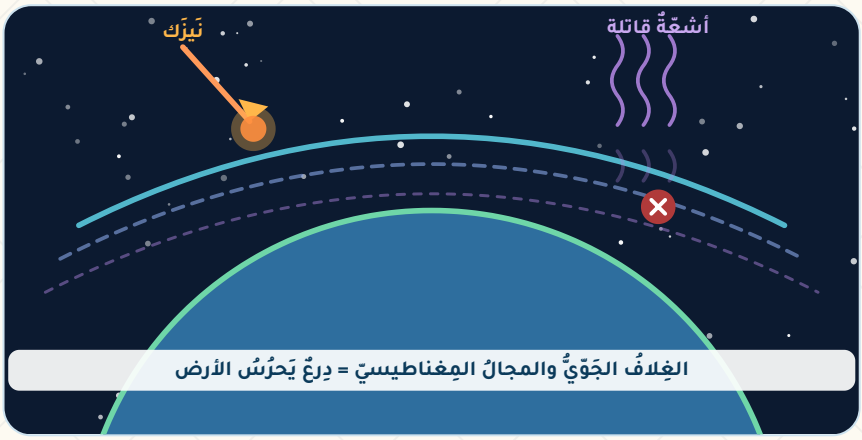

آلافُ النّيازكِ تحترقُ كلَّ يومٍ قبل أن تصلَ إليك، وأنت نائمٌ في بيتِك

بكلامٍ بسيط

فوق رأسِك سَقفٌ لا تراه، لكنّه يَحميك. النّيازكُ التي تنطلقُ نحونا تحترقُ فيه قبل أن تصل، والأشعّةُ القاتلةُ يَحجُبها. **لولاه لماتَ كلُّ حيٍّ على الأرض**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت «السّماء» عند النّاسِ إمّا فراغاً فارغاً، وإمّا قُبّةً صُلبةً مُثبّتةً فيها النّجوم. ولم يَخطُر لأحدٍ قَطُّ أنّ فوقنا طبقةً **غيرَ مرئيّةٍ تؤدّي وظيفةَ حِماية**. الشّهابُ المُحترِقُ كان في نظرهم نجماً يسقط، لا نَيزَكاً يحترقُ في دِرع.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الغِلافُ الجوّيُّ يُحرِقُ يوميّاً ما يُقدَّرُ بمئةِ طنٍّ من المادّةِ الفضائيّةِ قبل وصولِها. وطبقةُ الأوزون تمتصُّ نحو ٩٩٪ من الأشعّةِ فوق البنفسجيّةِ الفتّاكة. والمجالُ المِغناطيسيُّ الأرضيُّ يَصُدُّ **الرّياحَ الشّمسيّة** التي كانت كفيلةً بتجريدِ الأرضِ من هوائِها ومائِها كما حدث للمرّيخ تماماً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الجمعُ بين كلمتَي «سَقْف» و«مَحفوظ» هو المُعجِز. السّقفُ يدلُّ على الغِطاءِ الشّامل، و«محفوظ» صيغةُ اسمِ مفعول تدلُّ على أنّه **مُصانٌ ويَصُونُ من تحتَه**. ثمّ جاءت الجملةُ التّالية: «وهم عن آياتِها مُعرِضون» – أي أنّ في هذا السّقفِ **آياتٍ** سيَغفُلُ عنها النّاس. وهذه إشارةٌ صريحةٌ إلى أنّ فيه من العجائبِ ما لم يُكتشَف بعد. وقد كان: لم يُكتشَف الأوزون إلّا سنة ١٩١٣، والمجالُ المِغناطيسيُّ الواقي إلّا سنة ١٩٥٨.

٥٦

الشُّهُبُ التي تَحرُسُ السَّماء

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ

سورة المُلك – الآية ٥

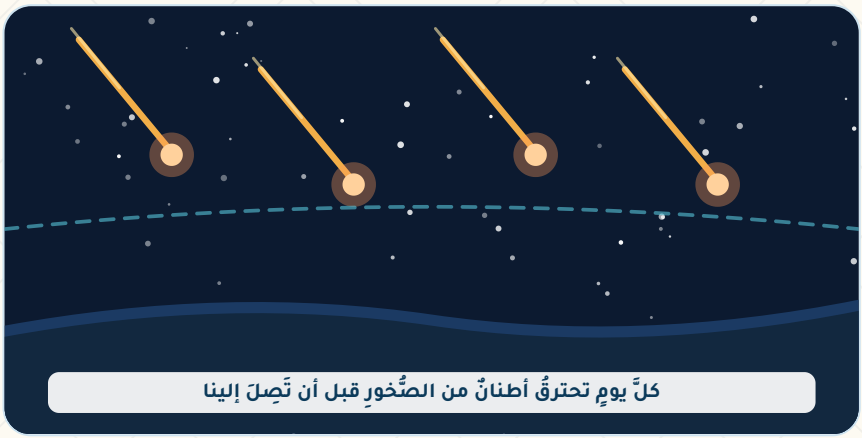

الشُّهُبُ تشتعلُ حين تدخلُ الغلافَ الجوّيَّ بسرعةٍ تفوقُ الرَّصاص

بكلامٍ بسيط

الآيةُ تُعطي للنّجومِ والأجرامِ المُضيئةِ وظيفتَين معاً: **زينةٌ للسّماء**، و**قَذائفُ تُطارِدُ من يُحاولُ التّسلُّلَ إلى الأعلى**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الشُّهُبُ كانت في نظرِ العربِ «نجوماً تسقط»، وفي ثقافاتٍ أخرى علاماتٍ على موتِ مَلِكٍ أو حَدَثٍ عظيم. أمّا أنّها **أجسامٌ صُلبةٌ تحترقُ بالاحتكاك** فلم يكن ذلك معروفاً. بل إنّ العلمَ الرَّسميَّ أنكرَ حتّى القرنِ التّاسعَ عشرَ أن تسقُطَ حجارةٌ من السّماء، وسَخِرَت الأكاديميّةُ الفرنسيّةُ ممّن قال بذلك.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

النّيازكُ أجسامٌ صخريّةٌ ومَعدِنيّةٌ تدخلُ الغلافَ الجوّيَّ بسرعاتٍ تبلغُ عشراتِ الكيلومتراتِ في الثّانية، فيحترقُ أغلبُها تماماً بفعلِ ضغطِ الهواءِ وحرارتِه. وتُقدَّرُ الكُتلةُ الدّاخلةُ يوميّاً بنحوِ **مئةِ طنّ**. وقد ثبتَ علميّاً سقوطُ النّيازكِ بعد حادثةِ «لَيغل» في فرنسا سنة ١٨٠٣.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ فرّقت بين وظيفتَين مختلفتَين لأجرامِ السّماء: الزّينةُ الثّابتة، و**الرَّجْمُ المُتحرِّك**. والرَّجْمُ في العربيّةِ هو الرَّمْيُ بالحِجارةِ تحديداً – لا الرَّميُ بالنّورِ ولا بالنّار. فوصفُ ما ينزلُ من السّماءِ مُحترِقاً بأنّه «رَجْمٌ» أي حَجَرٌ مَقذوف، في زمنٍ كان العلمُ الرّسميُّ فيه – بعد ذلك بقرون – يُنكِرُ وجودَ حجارةٍ في السّماءِ أصلاً، وصفٌ يستحيلُ أن يكونَ صُدفة.

٥٧

سَدُّ ذي القَرنَينِ... حَديدٌ ونُحاسٌ مَصهور

آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا

سورة الكهف – الآية ٩٦

صَبُّ النُّحاسِ المَصهورِ على الحَديدِ يَملأُ الفَجَواتِ ويَمنَعُ الصَّدأ

بكلامٍ بسيط

بَنى ذو القَرنَينِ جِداراً بين جَبَلَين: رَصَّ **قِطَعَ الحَديد**، ثمّ أشعَلَ النّارَ حتّى احمَرَّت، ثمّ صَبَّ عليها **النُّحاسَ المَصهور**. وهذه بالضّبطِ طَريقةُ صِناعةِ سَبيكةٍ فائقةِ الصَّلابةِ لا تَصدَأ.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كانت المَعرِفةُ بالمَعادِنِ بَسيطة: حَديدٌ يُطرَقُ وهو حامٍ، ونُحاسٌ يُصَبُّ في قوالِب. ولم تَكُن فِكرةُ **دَمجِ مَعدِنَينِ في بِنيةٍ واحدة** مَعروفةً كتِقنيّةٍ إنشائيّة، ولا كان يُعرَفُ لماذا يُصَبُّ أحدُهما على الآخَرِ وهو مُحمًى.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

صَبُّ النُّحاسِ المَصهورِ على الحَديدِ المُحمى يُنتِجُ ما يُشبِهُ **اللِّحامَ بالنُّحاس** (Brazing): يَتَخَلَّلُ النُّحاسُ السّائلُ الفَجَواتِ بين القِطَعِ بخاصّيّةِ الشَّعريّة، فيَربِطُها رَبطاً مُحكَماً ويَطرُدُ الهَواء. والنَّتيجةُ كُتلةٌ صَمّاءُ مُتَماسِكةٌ لا فَراغَ فيها. كما أنّ غِلافَ النُّحاسِ **يَعزِلُ الحَديدَ عن الهَواءِ والرُّطوبةِ فيَمنَعُ الصَّدأ** – وهو مَبدأُ الطِّلاءِ المَعدِنيِّ المُستَعمَلِ اليومَ.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

تَرتيبُ الخُطُواتِ هو مَوضِعُ الإعجاز، وهو تَرتيبٌ هَندَسيٌّ لا يَصِحُّ غيرُه: ١) **زُبَرُ الحَديد** – والزُّبرةُ هي القِطعةُ الكَبيرة، فالبِنيةُ الحامِلةُ حَديد. ٢) **النَّفخ** – أي الإمدادُ بالهَواءِ لرَفعِ الحَرارة، وهو ما يَفعَلُه الكِيرُ في المَسابِك. ٣) **حتّى إذا جَعَلَه ناراً** – أي بَلَغَ الحَديدُ درجةَ الاحمِرارِ التي يَقبَلُ عندها الالتِحام. ٤) **ثمّ إفراغُ القِطر** – أي النُّحاسِ المَصهورِ فوقَه. لو صُبَّ النُّحاسُ على حَديدٍ بارِدٍ لَما التَحَم. فالنَّصُّ يَصِفُ شَرطَ الحَرارةِ قبلَ الصَّبِّ – وهو جَوهَرُ العَمَليّةِ كلِّها.

٥٨

لا الشَّمسُ تُدرِكُ القَمَر... ولا اصطِدام

لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

سورة يس – الآية ٤٠

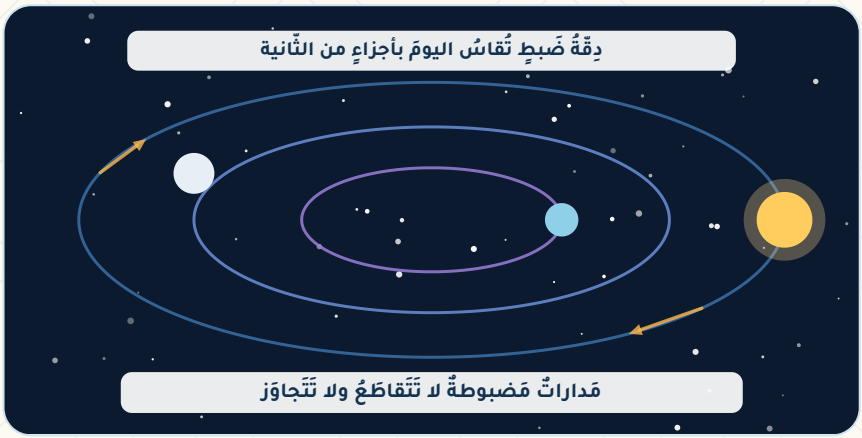

كلُّ جِرمٍ في مَسارِه لا يَتَعَدّاه ولا يُدرِكُ غَيرَه

بكلامٍ بسيط

الأجرامُ السَّماويّةُ تَجري بسُرعاتٍ هائلة، ومع ذلك **لا يُصادِمُ أحَدُها الآخَر**. ولا يَسبِقُ اللَّيلُ النَّهارَ ولا يَتَأخَّرُ عنه. نِظامٌ لا يَختَلُّ طَرفةَ عَين.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم تَكُن هناك مَعرِفةٌ بسُرعاتِ الأجرامِ ولا بمَداراتِها ولا بقَوانينِ حَرَكَتِها. وكانت الكُسوفاتُ والخُسوفاتُ تُفَسَّرُ بأنّها غَضَبٌ أو نَذير، لا بأنّها **مَواعيدُ يُمكِنُ حِسابُها قبلَ وُقوعِها بقُرون**.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

مَداراتُ الأجرامِ مَضبوطةٌ بدِقّةٍ تُدهِشُ الفَلَكيّين. فالأرضُ تَقطَعُ مَدارَها حولَ الشَّمسِ بسُرعةِ ٣٠ كم في الثّانية، والقَمَرُ يَدورُ حَولَها، ولا يَقَعُ اصطِدام. ودِقّةُ النِّظامِ بَلَغَت حَدّاً يُمكِنُ معه **حِسابُ مَوعِدِ كُسوفٍ بعدَ ألفِ سنةٍ بدِقّةِ الثّانية**. وعلى هذا الضَّبطِ بُنِيَت المَلاحةُ الفَضائيّةُ كلُّها: مَركَبةٌ تُطلَقُ اليومَ لتَلتَقيَ كَوكَباً بعدَ سَبعِ سِنينَ في نُقطةٍ مَحسوبةٍ سَلَفاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

التَّعبيرُ «**يَنبَغي**» هو مَوضِعُ الدِّقّة. فهو لا يَنفي الوُقوعَ فقط، بل يَنفي **الإمكان** – أي أنّ النِّظامَ نفسَه لا يَسمَحُ بذلك، لا أنّه لم يَحدُث اتِّفاقاً. وهذا هو مَعنى **القانونِ الفيزيائيِّ** بعَينِه. ثمّ لاحِظ التَّفصيل: نَفى أن تُدرِكَ الشَّمسُ القَمَر – وهما في مَدارَينِ مُختَلِفَين؛ ونَفى أن يَسبِقَ اللَّيلُ النَّهار – وهما تابِعانِ لدَورانِ الأرض. ظاهِرَتانِ مُختَلِفَتانِ في السَّبَب، جُمِعَتا تحت قاعِدةٍ واحدة: «**وكُلٌّ في فَلَكٍ يَسبَحون**» – أي أنّ العِلّةَ في الحالَتَينِ واحدة: انضِباطُ كلِّ جِرمٍ بمَداره.

٥٩

ما تَرى في خَلقِ الرَّحمنِ مِن تَفاوُت

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ

سورة المُلك – الآية ٣

قُوّةُ الجاذِبيّة: لو زادَت قَليلاً لانسَحَقَ الكَون

القُوّةُ النَّوَويّة: لو نَقَصَت لَما تَكَوَّنَ عُنصُرٌ واحد

كَثافةُ الكَونِ الأُولى: ضَبطٌ يَفوقُ التَّصَوُّر

ثابِتُ الطّاقةِ المُظلِمة: أدَقُّ رَقمٍ في الفيزياء

«فارجِعِ البَصَرَ هل تَرى من فُطور؟»

ثَوابِتُ الكَونِ مَضبوطةٌ على حَدٍّ لا يَحتَمِلُ أدنى انحِراف

بكلامٍ بسيط

الآيةُ تَتَحَدّاك أن تَنظُرَ في الكَونِ فتَجِدَ فيه **خَلَلاً أو شَقّاً أو نَقصاً**. ثمّ تُكَرِّرُ: انظُر مَرّةً ثانية. والعِلمُ اليومَ يَقولُ إنّ ثَوابِتَ الكَونِ مَضبوطةٌ بدِقّةٍ لا يُصَدِّقُها العَقل.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان الكَونُ يُنظَرُ إليه نَظرةً جَماليّةً عامّة. ولم تَكُن هناك فِكرةٌ عن «ثَوابِتَ فيزيائيّة» أصلاً، ولا عن أنّ الكَونَ يَقومُ على أرقامٍ لو تَغَيَّرَ أحَدُها قَليلاً لانهارَ كلُّ شَيء.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الفيزياءُ الحَديثةُ تُسَمّي هذا **«الضَّبطَ الدَّقيق»** (Fine-Tuning). فلو اختَلَفَت قُوّةُ الجاذِبيّةِ بِنسبةٍ ضَئيلةٍ جِدّاً لما تَكَوَّنَت النُّجومُ أو انسَحَقَ الكَونُ فَوراً؛ ولو اختَلَفَت القُوّةُ النَّوَويّةُ الشَّديدةُ بِنسبةٍ صَغيرةٍ لَما وُجِدَ الكَربونُ ولا الأُكسِجين؛ وثابِتُ الطّاقةِ المُظلِمةِ يُوصَفُ بأنّه **أَدَقُّ رَقمٍ في الفيزياءِ كلِّها**. وقد أقَرَّ بهذا كِبارُ الفيزيائيّين – مِثلُ فريد هويل الذي قال إنّ ما رآه يَبدو كأنّ «عَقلاً فائقاً عَبِثَ بالفيزياء».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الأمرُ في الآيةِ ليس تَقريراً فحَسب، بل **دَعوةٌ صَريحةٌ إلى الفَحصِ والتِّكرار**: «فارجِعِ البَصَر» ثمّ «ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَين». أي أنّها تُراهِنُ على أنّ التَّدقيقَ **يَزيدُها تَأكيداً لا يَنقُضُها**. وهذا هو ما وَقَعَ حَرفيّاً: كلَّما ازدادَت أدَواتُ الرَّصدِ دِقّةً، ازدادَ الضَّبطُ ظُهوراً. ولَفظةُ «**فُطور**» تَعني الشُّقوقَ والتَّصَدُّعات، و«**تَفاوُت**» تَعني الاضطِرابَ وعَدَمَ التَّناسُب. فالآيةُ تَنفي عن الكَونِ صِفَتَين: الخَلَلَ في النِّسَبِ والشَّقَّ في البِناء – وهما بالضّبطِ ما يَبحَثُ عنه الفيزيائيُّ حين يَختَبِرُ نَموذَجاً كَونيّاً.

٦٠

قَسَمٌ بمَواقِعِ النُّجوم... لا بالنُّجوم

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۝ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ

سورة الواقعة – الآيتان ٧٥-٧٦

ضَوءُ النّجمِ يسافرُ سنينَ طويلة، فالذي تراه هو مَوقِعُه القديمُ لا مكانُه الآن

بكلامٍ بسيط

حين تنظرُ إلى نجمٍ في اللّيل، أنت لا ترى النّجم! أنت ترى **ضوءاً خرجَ منه قبل سنين**، وربّما آلافِ السّنين. وقد يكونُ النّجمُ نفسُه انطفأ وانتهى، وأنت ما زلتَ تراه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يَخطُر لأحدٍ أنّ للضّوءِ سُرعةً أصلاً. كان الضّوءُ يَظهرُ فَوريّاً بلا زمن. والنّجمُ هو ما تراه، في المكانِ الذي تراه فيه، وانتهى الأمر.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

سُرعةُ الضّوءِ نحو ٣٠٠ ألفِ كيلومترٍ في الثّانية – سريعةٌ نعم، لكنّها **محدودة**. وأقربُ نجمٍ إلينا بعد الشّمسِ يبعُدُ ٤٫٢ سنةٍ ضوئيّة، وبعضُ ما نراه بالعينِ المجرّدةِ يبعُدُ آلافَ السّنينِ الضّوئيّة. فالسّماءُ التي تراها اللّيلةَ هي **ألبومُ صورٍ قديمة**، كلُّ نجمٍ فيها من زمنٍ مختلف. وقد رُصِدَت بالفعلِ نجومٌ انفجرت منذ قرون وما زال ضوءُها يصلُنا.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

القَسَمُ لم يقع بالنّجومِ نفسِها، بل **بمواقِعِها** – وهو تخصيصٌ لا داعيَ له إلّا إن كان بين النّجمِ وموقِعِه فَرقٌ حقيقيّ. ثمّ جاءت الآيةُ التّالية تُصرِّحُ: «وإنّه لَقَسَمٌ **لو تعلمون** عظيم» – أي أنّ عَظَمةَ هذا القَسَمِ مَرهونةٌ بعِلمٍ لم يكن عند السّامعين. نصٌّ يقولُ صراحةً: هنا سِرٌّ ستعرِفونه لاحقاً. وقد عُرِف.

وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم

سورة الأنعام – الآية ٣٨

الحَيَواناتُ ليست أفراداً مُتَفَرِّقة، بل مُجتَمَعاتٌ مُنَظَّمة

بكلامٍ بسيط

القرآنُ سَمّى الحَيَواناتِ **«أُمَماً»** – والأُمّةُ جَماعةٌ لها نِظامٌ ولُغةٌ وتَقاليد. وقال إنّها «أمثالُكم». والعِلمُ اليومَ يُثبِتُ أنّ للحَيَواناتِ مُجتَمَعاتٍ بالغةَ التَّنظيم.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الحَيَوانُ في التَّصوُّرِ القديمِ كائنٌ غَريزيٌّ بَحت، بلا تَنظيمٍ ولا تَواصُلٍ ولا تَعلُّم. والفَجوةُ بينه وبين الإنسانِ مُطلَقة. أمّا وَصفُه بأنّه «أُمّة» – وهي كلمةٌ تُستَعمَلُ للشُّعوبِ ذاتِ الشَّرائعِ والأنظِمة – فكان غَريباً.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

عِلمُ سُلوكِ الحَيَوانِ أثبَتَ وُجودَ مُجتَمَعاتٍ حَقيقيّة: تَقسيمُ عَمَلٍ صارِمٌ عند النَّملِ والنَّحل، ولُغاتُ تَواصُلٍ مُعَقَّدةٌ عند الحيتانِ والدَّلافين لها **لَهَجاتٌ إقليميّة**، وثَقافاتٌ مَنقولةٌ بالتَّعلُّمِ عند الشِّمبانزي، وتَنظيمُ هِجرةٍ وتَناوُبُ قِيادةٍ عند الطُّيور، وحتّى نُظُمُ «زِراعة» عند نَملِ قاطِعِ الأوراق الذي يُربّي الفُطرَ في مَزارِعَ تحت الأرض.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الإعجازُ في كلمتَين. «**أُمَم**»: وهي في العربيّةِ الجَماعةُ المُنَظَّمةُ ذاتُ الشَّأنِ المُشتَرَك، لا مُجَرَّدُ قَطيع. و«**أمثالُكم**»: أي مِثلُكم في كَونِها مُجتَمَعاتٍ لها نُظُمُها، لا مِثلُكم في العَقلِ والتَّكليف. وقد كان العِلمُ الرَّسميُّ إلى وَقتٍ قَريبٍ يَرفُضُ أن يُنسَبَ للحَيَوانِ ثَقافةٌ أو لُغة، ويَعُدُّ ذلك «أنسَنةً» غيرَ عِلميّة – ثمّ تَراجَعَ عن ذلك أمامَ الأدِلّة. أمّا عِبارةُ «يَطيرُ **بِجَناحَيه**» فتَخصيصٌ لافِت، إذ تَستَثني ما يَطيرُ بغيرِ جَناحَين.

١٢ أوهَنُ البُيوتِ... وأُنثى العَنكَبوت

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ

سورة العَنكَبوت – الآية ٤١

بَيتُ العَنكَبوت

- أُنثى تَبنيه وَحدَها
- الذَّكَرُ لا يَبني
- تَأكُلُ الذَّكَرَ أحياناً
- تَأكُلُ صِغارَها
- بَيتٌ بلا أمانٍ أصلاً

خَيطُه أقوى من الفُولاذ... وبَيتُه أوهَنُ البُيوت

الوَهْنُ ليس في الخَيط، بل في العَلاقاتِ داخِلَ هذا «البَيت»

بكلامٍ بسيط

بيتُ العَنكَبوتِ تَبنيه **الأُنثى** وَحدَها، ولا نَصيبَ للذَّكَرِ فيه. وهو أوهَنُ بيتٍ ليس لأنّ خَيطَه ضعيف – بل لأنّه **بيتٌ بلا رَحمةٍ ولا أمان**: الأُنثى قد تَأكُلُ زَوجَها وصِغارَها.

ماذا كانَ النّاسُ يظنّون؟

العَنكَبوتُ حَشَرةٌ مَألوفةٌ في كلِّ بيت، وبَيتُها مِثالٌ ظاهِرٌ للضَّعف. لكنّ التَّفريقَ بين الذَّكَرِ والأُنثى في مَن يَبني، وما يَجري داخِلَ الشَّبَكةِ من افتِراس، لم يكن معروفاً – فهذه تَفاصيلُ لا تُرى إلّا بالرَّصدِ العِلميِّ الدَّقيق.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

بُيوتُ العَنكَبوتِ **تَبنيها الإناثُ حَصراً**: ذَكَرُ العَنكَبوتِ لا يَغزِلُ شَبَكةَ صَيدٍ أصلاً في مُعظَمِ الأنواع، وإنّما يَتَجَوَّلُ بَحثاً عن أُنثى. وفي عَشَراتِ الأنواعِ تَقتُلُ الأُنثى الذَّكَرَ بعد التَّزاوُجِ وتَأكُلُه، وفي أنواعٍ أُخرى يَأكُلُ الصِّغارُ أُمَّهم أو تَأكُلُهم. أمّا الخَيطُ نفسُه فهو من أقوى المَوادِّ المَعروفة: أقوى من الفُولاذِ بوَزنِه.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لو كان الوَهْنُ في مَتانةِ الخَيطِ لكان النَّصُّ مَنقوضاً بالعِلم، إذ ثَبَتَ أنّ خَيطَ العَنكَبوتِ من أمتَنِ ما في الطَّبيعة. لكنّ الآيةَ تَتَحدَّثُ عن **البَيت** لا عن الخَيط، والبَيتُ في العربيّةِ هو الأهلُ والسَّكَنُ والأمان. والسِّياقُ كلُّه عن **عَلاقةٍ فاسِدةٍ لا تَنفَعُ صاحِبَها**. فالوَصفُ دَقيقٌ اجتِماعيّاً لا مادّيّاً. ويُؤكِّدُه أنّ الفِعلَ جاء مُؤنَّثاً: «**اتَّخَذَت** بَيتاً» – وهي التي تَتَّخِذُه فِعلاً دون الذَّكَر.

٦٣

جَناحٌ فيهِ داءٌ وجَناحٌ فيهِ دَواء

إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْأُخْرَى شِفَاءً

رواه البُخاريّ – صحيح

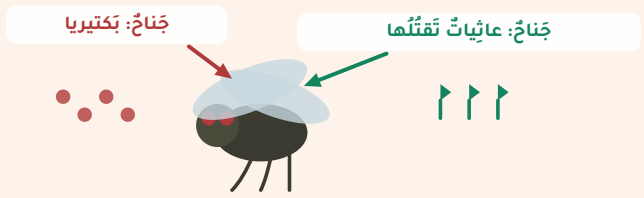

العاثِيات (Bacteriophages): فَيروساتٌ لا تَقتُلُ إلّا البَكتيريا

اكتُشِفَت سنة ١٩١٥ – وتُستَعمَلُ اليومَ عِلاجاً

العاثِياتُ أكثَرُ الكائناتِ عَدَداً على الأرض، ومَهَمَّتُها الوَحيدةُ قَتلُ البَكتيريا

بكلامٍ بسيط

الذُّبابُ يَحمِلُ جَراثيمَ – هذا مَعروف. لكنّ الحَديثَ يقولُ شيئاً آخَر: معه أيضاً **ما يَقتُلُ تِلكَ الجَراثيم**. والعِلمُ اكتَشَفَ فِعلاً كائناتٍ دَقيقةً مَهَمَّتُها الوَحيدةُ افتِراسُ البَكتيريا.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم تَكُن البَكتيريا مَعروفةً أصلاً – لم تُرَ إلّا سنة ١٦٧٦ بِمِجهَرٍ ليفنهوك. فالحَديثُ عن «داء» يَحمِلُه الذُّبابُ سابِقٌ لنَظَريّةِ الجَراثيمِ بألفِ عام. وأمّا وُجودُ **شِفاءٍ** معه فلم يَكُن له أيُّ إطارٍ يُفهَمُ فيه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

العاثِياتُ البَكتيريّة (Bacteriophages): فَيروساتٌ دَقيقةٌ لا تُصيبُ إلّا البَكتيريا فتَقتُلُها، اكتُشِفَها تُورت سنة ١٩١٥ وديريل سنة ١٩١٧. وهي **أكثَرُ الكائناتِ عَدَداً على وَجهِ الأرض**، وتَتَرَكَّزُ حيثُ تَكثُرُ البَكتيريا – أي على الذُّبابِ ومَواطِنِه. وقد وُجِدَت على الذُّبابِ المَنزِليِّ بالفِعل. والعِلاجُ بالعاثِياتِ تَخَصُّصٌ طِبّيٌّ قائمٌ اليوم، يُستَعمَلُ في الحالاتِ التي تَفشَلُ فيها المُضادّاتُ الحَيَويّة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الحَديثُ لم يَكتَفِ بذِكرِ الدَّواء، بل أعطى **إجراءً عَمَليّاً**: الغَمسُ الكامِل. وهذا هو مَوضِعُ الدَّلالة – إذ لا مَعنى للغَمسِ إلّا إن كان المُضادُّ يَحتاجُ إلى أن يُطلَقَ في السّائلِ ليَعمَل. ثمّ التَّفريقُ بين **جَناحَين**: أحدُهما يَحمِلُ الضَّررَ والآخَرُ العِلاج. وهو تَقسيمٌ لا يَخطُرُ لمن يَختَرِعُ كَلاماً؛ المُتَوَقَّعُ أن يُقالَ «في الذُّبابِ داءٌ ودَواء». أمّا نِسبةُ كلٍّ منهما إلى جَناحٍ بعَينِه فتَحديدٌ يَقبَلُ الاختِبار – وقد جاء العِلمُ يُصَدِّقُه.

٦٤

الأرضُ ذاتُ الصَّدع

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ

سورة الطّارق – الآيتان ١١-١٢

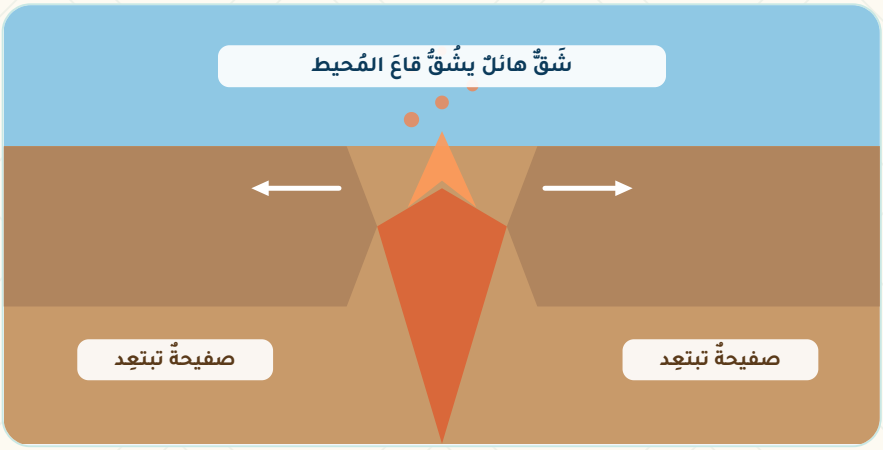

سِلسلةُ شُقوقٍ تلُفُّ الأرضَ كلَّها تحت المُحيطات، طولُها ٦٥ ألفَ كم

بكلامٍ بسيط

الأرضُ ليست كُرةً مُصمَتةً مُتّصِلة. قِشرتُها **مَشقوقة** – فيها شُقوقٌ هائلةٌ تلُفُّ الكوكبَ كلَّه، تخرجُ منها الصُّخورُ المُنصَهِرةُ من الأعماق.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الأرضُ كانت تُتصوَّرُ جِسماً واحداً مُصمَتاً مُتماسِكاً. وأمّا وصفُ الأرضِ كلِّها بأنّها «ذاتُ صَدع» – أي مَشقوقة – فلا معنى له في تجربةِ أحدٍ آنذاك: فالشُّقوقُ المرئيّةُ لا تعدو تشقُّقاتِ الأرضِ الجافّةِ أو مَجاري الأودية.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

يُسمَّى هذا **«حِيدُ وَسَطِ المُحيط»** (Mid-Ocean Ridge): سِلسلةُ شُقوقٍ بُركانيّةٍ يبلغُ طولُها نحوَ ٦٥ ألفَ كيلومتر، تلتفُّ حول الكوكبِ كلِّه كخِياطةٍ في كُرةِ تِنس. منها تخرجُ المادّةُ المُنصهِرةُ فتُكوِّنُ قِشرةً جديدة. لم يُكتشَف إلّا في خمسينيّاتِ القرنِ العشرين بأجهزةِ السّونار.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

القَسَمُ هنا يَصِفُ الأرضَ بصِفةٍ **كُلّيّةٍ مُلازِمة**: «الأرضِ ذاتِ الصَّدع» – كما يُقالُ «ذاتُ الشَّجر» لما الشّجرُ من طبيعتِها. فهو لا يتحدّثُ عن شَقٍّ عارِض، بل يجعلُ الصَّدعَ صِفةً للكوكبِ نفسِه. وهذه هي الحقيقةُ الجيولوجيّةُ بعينِها: الأرضُ كوكبٌ **مُتصدِّعُ القِشرةِ بطبيعتِه**، وذلك هو أصلُ الزّلازلِ والبراكينِ وحركةِ القارّات.

٦٥

البَحرُ المسجُور... ناراً تحتَ الماء

وَالطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝ ... ۝ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ

سورة الطّور – الآيات ١-٦

أكثرُ من ٨٠% من نشاطِ بَراكينِ الأرضِ يقعُ تحتَ سطحِ البِحار

بكلامٍ بسيط

تحت البحرِ نارٌ مُشتعِلة! في قاعِ المُحيطاتِ بَراكينُ وفُوَّهاتٌ تُطلِقُ ماءً حرارتُه أربعُ مئةِ درجة. فالبحرُ **مَسجور** – أي مُوقَدٌ مُشتعِلٌ من أسفلِه.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الماءُ والنّارُ ضِدّانِ لا يجتمعان – هذه بديهةٌ عند كلِّ إنسان. والبحرُ رمزُ البُرودةِ والإطفاء. فوصفُ البحرِ بأنّه «مَسجور» بدا للسّامعين تعبيراً غامِضاً لا مُقابِلَ له في الواقع.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

تحتَ المُحيطاتِ سِلسلةٌ بُركانيّةٌ هائلة، وأكثرُ من ٨٠٪ من الانبعاثِ البُركانيِّ على الأرض يحدثُ تحتَ الماء. واكتُشِفت سنة ١٩٧٧ **الفُوَّهاتُ الحَرارِيّةُ المائيّة** التي تقذِفُ ماءً تتجاوزُ حرارتُه ٤٠٠ درجة، ولا يَغلي لشِدّةِ الضّغط. وحول هذه النّيرانِ حياةٌ كاملةٌ لا تعتمدُ على ضوءِ الشّمسِ أصلاً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

«سَجَرَ» في العربيّةِ تعني **أوقَدَ التَّنُّورَ وملأه ناراً** – ومنه «وإذا البِحارُ سُجِّرَت». فالوصفُ صريحٌ في الإيقاد، لا في الامتلاءِ ولا في الجَريان. وقَسَمُ اللهِ بالبحرِ المَسجورِ جاء بين قَسَمٍ بجبلِ الطُّورِ وقَسَمٍ بالبيتِ المَعمور – أي بين أشياءَ حقيقيّةٍ مَوجودة. فهو يُقسِمُ بواقعٍ قائم، كشفَه الإنسانُ بعد ١٣٥٠ سنة.

٢٦

إنّا كفيناك المستهزئين

إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

سورة الحِجر – الآيتان ٩٥-٩٦

زُعَماءُ السُّخريّةِ في مكّةَ ماتوا واحِداً بعدَ واحِدٍ في وَقتٍ قَريب

بكلامٍ بسيط

كان في مكّةَ رِجالٌ مَشهورونَ يَتَزَعَّمونَ السُّخريّةَ بالنَّبيِّ ﷺ ويُؤذونَه. فنَزَلَت آيةٌ تقول: **نحن نَكفيكَ إيّاهم**. ولم تَمضِ مُدّةٌ حتّى هَلَكوا كلُّهم، كلٌّ بسَبَبٍ مُختَلِف.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

كان هؤلاء من ساداتِ قُرَيشٍ وأصحابِ الجاهِ والمال، وفي أوجِ قُوَّتِهم ونُفوذِهم. والنَّبيُّ ﷺ ومَن معه في أضعَفِ حال: مُحاصَرونَ مُضطَهَدون، لا جَيشَ لهم ولا مَنَعة. ولم تَكُن هناك أيُّ وَسيلةٍ بَشَريّةٍ لدَفعِ أذاهم فَضلاً عن إهلاكِهم.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

تَذكُرُ كُتُبُ السِّيرةِ والتّاريخ – وأقدَمُها سيرةُ ابنِ إسحاقَ بروايةِ ابنِ هِشام – أنّ زُعَماءَ الاستِهزاءِ خَمسة، وأنّهم هَلَكوا جَميعاً في مُدّةٍ مُتَقارِبةٍ قبلَ الهِجرةِ أو حَولَها، بأسبابٍ مُتَنَوِّعةٍ لا يَجمَعُها جامِع: مَرَضٌ ووَباءٌ وحادِثةٌ وشَوكةٌ أصابَت وجُرحٌ تَعَفَّن. ولم يَبقَ منهم أحدٌ يُناوِئُ الدَّعوةَ بعدَ ذلك.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

النَّصُّ يَتَضَمَّنُ **ضَماناً**، لا مُجَرَّدَ دُعاءٍ ولا رَجاء. والضَّمانُ التِزامٌ يُمكِنُ أن يُخلَفَ فيَنكَشِفَ صاحِبُه أمامَ خُصومِه مُباشَرة. ولو بَقِيَ واحِدٌ منهم يُؤذي ويَسخَرُ سِنينَ لكانت الآيةُ حُجّةً عليهم لا لهم. والأهَمّ: هذا وَعدٌ **مُوَجَّهٌ ضِدَّ أقوى أهلِ البَلَدِ لصالِحِ أضعَفِهم** – وهو نَمَطٌ يَتَكَرَّرُ في القرآنِ كلِّه: «سَيُهزَمُ الجَمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُر» نَزَلَت في مكّةَ قبلَ بَدرٍ بسِنين، وقالها النَّبيُّ ﷺ يومَ بَدرٍ فوَقَعَت.

٦٧

السّماءُ تُطوَى كما يُطوَى الوَرَق

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ

سورة الأنبياء – الآية ١٠٤

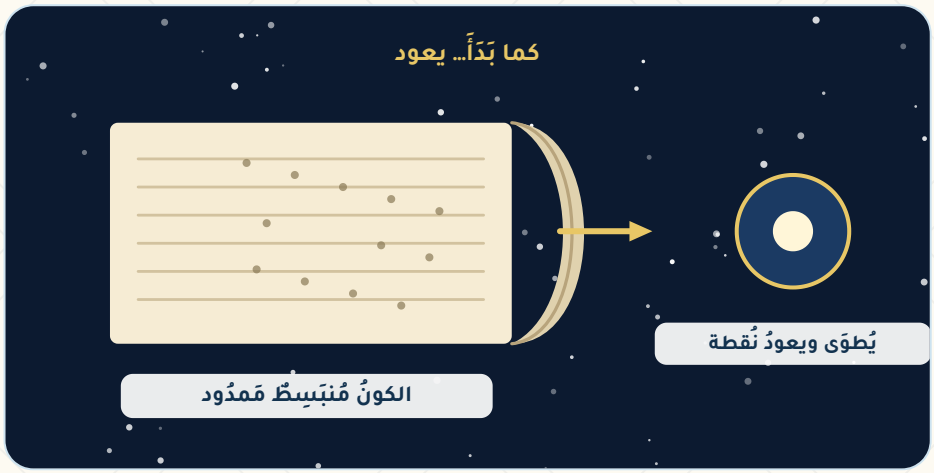

الكونُ انبسطَ من نُقطة... وسيَنطوي عائداً إلى نُقطة

بكلامٍ بسيط

الآيةُ تقول إنّ نهايةَ الكونِ ستكون **طَيّاً** – أي انكِماشاً ولَفّاً، كما تُلَفُّ ورقةٌ. ثمّ تقول جملةً عجيبة: هذه النّهايةُ ستكون **مثلَ البداية** تماماً.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يكن في الأُفُقِ سؤالٌ اسمُه «كيف ينتهي الكون؟»، لأنّ الكونَ كان في ظنِّ النّاسِ أزليّاً أبديّاً لا بدايةَ له ولا نهاية. والرّبطُ بين شكلِ النّهايةِ وشكلِ البدايةِ لم يكن له أيُّ إطارٍ يُفهَمُ فيه.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

من أشهرِ سيناريوهاتِ نهايةِ الكونِ في الفيزياءِ النّظريّةِ سيناريو **«الانسحاقِ الكبير»** (Big Crunch): تَغلِبُ الجاذبيّةُ على التّمدُّدِ فينكمشُ الكونُ عائداً على نفسِه حتّى يعودَ إلى حالتِه الأولى – نُقطةٍ فائقةِ الكثافة. أي أنّ **النّهايةَ صورةٌ مُعاكِسةٌ للبداية**.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الإعجازُ هنا في نِصفِ الآيةِ الثّاني: «كما بَدَأْنا أوّلَ خَلْقٍ نُعيدُه». هذه الجملةُ تُقرِّرُ قاعدةً: **شكلُ النّهايةِ = شكلُ البداية**. وهي بذلك تُخبِرُنا ضِمناً أنّ الكونَ كان في بدايتِه **مَطويّاً** – أي مُنكمِشاً في نقطة – وهو عينُ ما يقولُه نموذجُ الانفجارِ العظيم. آيةٌ واحدةٌ أعطت البدايةَ والنّهايةَ معاً، في زمنٍ لم يكن فيه للكونِ بدايةٌ ولا نهايةٌ في عقلِ أحد.

٦٨

النجمُ الذي يطرُقُ ويثقُب

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ

سورة الطّارق – الآيات ١-٣

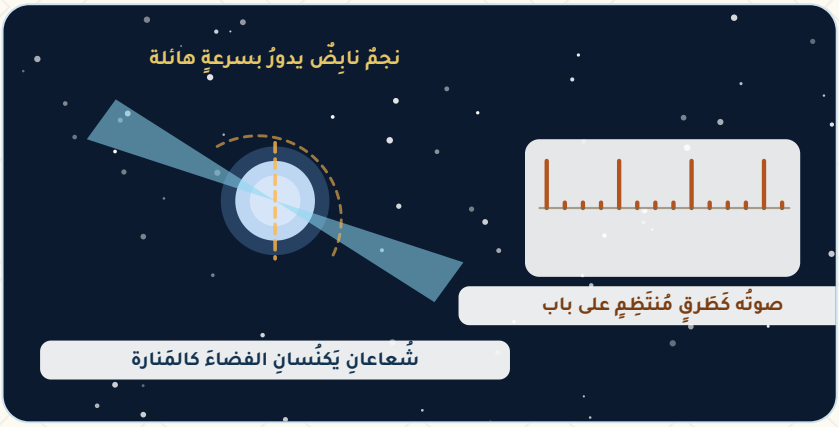

النّجمُ النّابِض: يُرسِلُ نبضاتٍ منتظِمةً كطَرقاتِ مِطرقةٍ لا تُخطئ

بكلامٍ بسيط

بعضُ النّجومِ تُرسِلُ إشاراتٍ **كطَرَقاتٍ منتظِمةٍ على الباب**: طَق... طَق... طَق... بدِقّةٍ أعلى من أدقِّ ساعةٍ صنعَها الإنسان. والقرآنُ سمّاها «الطّارِق» – أي الذي يَطرُق.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

النّجمُ عند النّاسِ نقطةُ ضوءٍ صامتةٍ ساكنة. لا صوتَ لها ولا نَبْض ولا اختراق. وربطُ كلمةِ «الطَّرْق» – وهي الضّربُ المُصوِّتُ المتكرّر – بنجمٍ في السّماء، كان كلاماً لا معنى له عند أيِّ سامعٍ في ذلك الزّمان.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

سنة ١٩٦٧ رصدت الفَلكيّةُ جوسلين بِل إشاراتٍ راديويّةً متكرّرةً بانتظامٍ مُذهِلٍ من الفضاء، حتّى ظنّها الفريقُ أوّلَ الأمرِ رسائلَ من كائناتٍ ذكيّةٍ وأطلقوا عليها اسم LGM-1. ثمّ تبيّن أنّها **نجومٌ نيوترونيّةٌ نابِضة** (Pulsars): بقايا نجومٍ انفجرت، تدورُ عشراتِ بل مئاتِ المرّاتِ في الثّانية، وتُطلِقُ شُعاعَين يَمسحانِ الفضاءَ كالمَنارة. وحين حُوِّلت إشاراتُها إلى صوتٍ كانت **طَرْقاً منتظِماً** تماماً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الكلمتان معاً لا تَتْرُكان مَجالاً: «الطّارِق» = المُصدِرُ لصوتِ طَرْقٍ متكرّر، و«الثّاقِب» = النّافِذُ المُخترِق. والنّجمُ النّابِضُ يجمعُ الوصفَين حرفيّاً: إشاراتُه طَرْقٌ منتظِم، وهي تَخترقُ آلافَ السّنينِ الضّوئيّةِ وتَنفُذُ إلينا عبر غُبارِ المجرّة. بل إنّ القَسَمَ نفسَه («والسّماءِ والطّارِق») تَبِعَه سؤالٌ استنكاريّ: «وما أدراكَ ما الطّارق؟» – أي أنّ هذا شيءٌ **لا سبيلَ لك إلى معرفتِه**. وهكذا كان، حتّى ١٩٦٧.

٦٩ السّماءُ ذاتُ الحُبُك

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ

سورة الذّاريات – الآية ٧

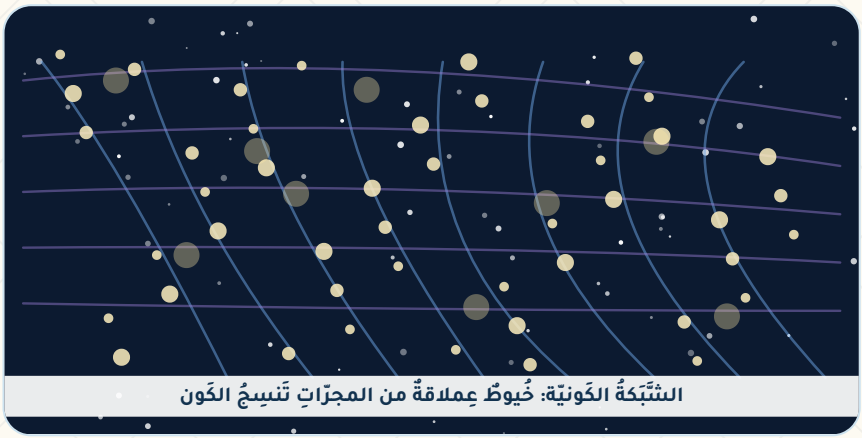

الشَّبَكةُ الكَونيّة: خُيوطٌ عِملاقةٌ من المجرّاتِ تَنسِجُ الكَون

خريطةُ الكونِ الكبرى: ليست مجرّاتٍ مُبعثَرة، بل نَسيجٌ مَحبوكٌ من خُيوطٍ وعُقَد

بكلامٍ بسيط

لو نظرتَ إلى الكونِ كلِّه من بعيدٍ جدّاً، لن ترى نجوماً مُبَعثَرة. سترى شيئاً يُشبِهُ **نسيجَ قُماشٍ أو شَبَكةَ صَيد**: خيوطٌ طويلةٌ من المجرّات، وبينها فراغاتٌ ضخمةٌ سوداء. وكلمةُ «الحُبُك» في العربيّة تعني: **النَّسْجَ المُحكَمَ ذا الطُّرُق**.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

السّماءُ عند النّاسِ قُبّةٌ مُلساءُ رُصِّعَت بنُقطِ نور، بلا بِنيةٍ ولا شكلٍ ولا تَرتيب. فكرةُ أن يكونَ للكونِ «شَكلٌ كُلّيٌّ» أصلاً لم تكن مطروحة.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

في العقودِ الأخيرةِ أنجزت المَراصدُ خرائطَ ثُلاثيّةَ الأبعادِ لملايينِ المجرّات (مشروعُ SDSS ومَسحُ 2dF)، فظهرت النّتيجةُ المُدهِشة: المجرّاتُ ليست موزّعةً عشوائيّاً، بل مُرتَّبةٌ في **«الشَّبَكةِ الكونيّة» (Cosmic Web)** – خيوطٌ وجُدُرٌ عملاقةٌ من المجرّات تُحيطُ بفراغاتٍ هائلةٍ خاوية. والصُّورةُ النّاتجةُ تُشبِهُ نسيجاً مَحبوكاً إلى حدِّ الذُّهول.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

«الحُبُك» جمعُ «حِبَاك»، ومعناها في المعاجمِ العربيّة: الطّرائقُ المُتداخِلةُ في الشّيءِ المَنسوجِ نَسجاً مُحكَماً، كأثَرِ تَموُّجِ الماءِ أو تَجعُّدِ الرَّمل. وهذا هو بالضّبطِ المُصطلَحُ العلميُّ المُستَخدَمُ اليومَ: «Filaments» أي **الخُيوط**. اتّفاقُ اللّفظِ العربيِّ مع المُصطلَحِ العلميِّ الحديثِ في معنًى واحدٍ نادرٍ كهذا، بعد أربعةَ عشرَ قرناً، ليس ممّا يقعُ اتّفاقاً.

٧٠ الخُنَّسُ الجَوارِ الكُنَّس

فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ

سورة التّكوير – الآيتان ١٥-١٦

الثّقبُ الأسود يَبتلِعُ الغازَ والنّجومَ من حَولِه كمِكنَسةٍ كَونيّة

بكلامٍ بسيط

هناك أجرامٌ في الفضاءِ ثلاثُ صفاتٍ فيها: **تَختَفي** فلا تُرى، و**تَجري** بسرعةٍ هائلة، و**تَكنُسُ** ما حولَها فتبتلِعُه. هذه الصّفاتُ الثّلاثُ هي بالضّبطِ ما يُقسِمُ اللّهُ به هنا.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يكن في الدُّنيا كلِّها تصوُّرٌ لجِرمٍ سماويٍّ **غيرِ مرئيّ**. فالجِرمُ إمّا أن يُرى فيكون، وإمّا ألّا يُرى فلا يكون. أمّا أن يُوجَدَ شيءٌ ضخمٌ جدّاً في السّماءِ لا تراه عينٌ أبداً، ويَبتلِعُ ما حولَه – فهذا لم يَتخيّله أحد.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

الثّقوبُ السّوداء: أجرامٌ كثافتُها هائلةٌ إلى حدٍّ لا يُفلِتُ منها حتّى الضّوء، فهي **خَفِيّةٌ تماماً** بطبيعتِها. وهي تَدورُ وتَجري في مجرّاتِها، وتَجذِبُ الغازَ والغُبارَ والنّجومَ فتَبتلِعُها. وقد صُوِّرَ أوّلُ ثُقبٍ أسودَ مباشرةً سنة ٢٠١٩ (في مجرّة M87)، ونالَ العملُ على إثباتِها جائزةَ نوبل سنة ٢٠٢٠.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الألفاظُ الثّلاثةُ دقيقةٌ إلى حدٍّ مُذهِل: «الخُنَّس» من خَنَسَ أي **اختفى وانقبض**؛ «الجَوارِ» أي **الجارية المُتحرِّكة**؛ «الكُنَّس» من كَنَسَ أي **جَمَعَ ما حولَه وابتلَعَه** (ومنه المِكنَسة، ومنه الكِناسُ وهو الجُحرُ الذي يَختفي فيه الظّبي). ثلاثُ صفاتٍ في آيتَين، تنطبقُ كلُّها على شيءٍ واحدٍ لم يُعرَف إلّا في القرنِ العشرين. ولاحِظ أنّ القَسَمَ في القرآنِ لا يكونُ إلّا بعظيم.

VI

الأرضُ تُخرِجُ أثقالَها

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا

سورة الزّلزلة – الآيتان ١-٢

الزّلازلُ وحركةُ الصّفائحِ هي التي رَفَعَت المَعادِنَ والنِّفطَ إلى مُتَناوَلِنا

بكلامٍ بسيط

كلُّ الذّهبِ والمَعادنِ والنِّفطِ الذي نَستخرِجُه اليومَ كان مَدفوناً في أعماقِ الأرض. والذي رَفَعَه إلى قُربِ السَّطحِ هو **الزَّلازِلُ وحركةُ الأرضِ** عبر ملايينِ السّنين.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الزّلزالُ كان كارِثةً مَحضة: هَدمٌ وخَسفٌ وموت. ولم يَربِطه أحدٌ بفائدةٍ ولا بإخراجِ خَير. وكلمةُ «أثقالِها» بمعنى كُنوزِ باطِنِها لم يكن لها مَدلولٌ واضحٌ عند السّامِعين.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

أغلبُ المَناجِمِ الاقتصاديّةِ في العالمِ تقعُ عند **حُدودِ الصَّفائحِ التّكتونيّة** ومَناطِقِ النّشاطِ الزِّلزاليِّ والبُركانيّ. فحَرَكةُ الصّفائحِ هي التي تَدفعُ الصُّخورَ الغَنيّةَ بالمَعادِنِ من الأعماقِ إلى القِشرة، والسَّوائلَ الحارّةَ هي التي تُركِّزُ الذّهبَ والنُّحاسَ في عُروق. ولولا هذا النّشاطُ لبَقِيَت كنوزُ الأرضِ كلُّها بعيدةً عن مُتَناوَلِنا إلى الأبد.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الآيةُ تَربِطُ بين حَدَثَينِ لا يَربِطُ بينهما العقلُ العاديّ: الزَّلزَلةُ ← إخراجُ الأثقال. وهذا هو عينُ ما يُقرِّرُه علمُ التَّعدين. وكلمةُ «أثقال» دقيقةٌ بشكلٍ لافِت: فالمَعادِنُ النّفيسةُ – الذَّهَبُ والبلاتينُ واليورانيوم – هي **أثقلُ العناصرِ كَثافةً**، وهي بطبيعتِها تَغوصُ نحوَ مركزِ الأرض، فلا تَصعَدُ إلّا بقوّةٍ تَدفَعُها. فسُمِّيَت باسمِ صِفَتِها الفيزيائيّةِ الفاصِلة.

بَعوضةً فما فَوقَها

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا

سورة البقرة – الآية ٢٦

«فما فَوقَها» = فما هو أصغَرُ منها

البَعوضةُ عِملاقٌ إذا قِيسَت بالبَكتيريا والفَيروسات

بكلامٍ بسيط

القرآنُ ضَرَبَ المَثَلَ بأصغَرِ شيءٍ يَراه النّاس – البَعوضة – ثمّ قال: **«فما فَوقَها»**. وفي العربيّةِ «فَوق» تأتي بمعنى **الزِّيادةِ في الصِّغَرِ** أيضاً، أي: وما هو أصغَرُ منها.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

البَعوضةُ كانت حَدَّ الصِّغَرِ المُمكِن: أصغَرُ كائنٍ يُمكِنُ للعَينِ أن تَراه وتُمَيِّزَ أعضاءَه. ولم يَكُن يُتَصَوَّرُ وُجودُ حَياةٍ أصغَرَ من ذلك، لأنّ ما لا يُرى لا يُعلَمُ وُجودُه. وظلّ الأمرُ كذلك حتّى اختِراعِ المِجهَر.

ماذا يقول العلمُ اليوم؟

البَعوضةُ كائنٌ ضَخمٌ نِسبيّاً: طولُها نحوُ ٦ مِلّيمتر. وفي جِسمِها وحدَه تَعيشُ **مَلايينُ البَكتيريا**، وعليها فَيروساتٌ أصغَرُ من البَكتيريا بمِئاتِ المَرّات. وقد تَبَيَّنَ أنّ لبَعوضةٍ واحدةٍ تَركيباً بالِغَ التَّعقيد: عَينٌ مُرَكَّبةٌ من مِئاتِ العَدَسات، وخُرطومٌ فيه سِتّةُ أدَواتٍ مُنفَصِلة للثَّقبِ والشَّفطِ وحَقنِ مادّةٍ مانِعةٍ للتَّجَلُّط، وأجنِحةٌ تَخفِقُ ٦٠٠ مَرّةٍ في الثّانية.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

السِّياقُ هو الفَيصَل. الآيةُ في مَقامِ بَيانِ أنّ اللّهَ لا يَستَحيي من ضَربِ المَثَلِ **بالصَّغير**، رَدّاً على من استَهزَأَ بذِكرِ الذُّبابِ والعَنكَبوت. فالمَعنى المُتَّسِقُ مع السِّياقِ هو: ولا بما هو **أمعَنُ في الصِّغَرِ** منها. وهذا الاستِعمالُ عَرَبيٌّ صَحيح، كما يُقالُ «هذا فَوقَه في الجَهل». فالنَّصُّ يُثبِتُ ضِمناً وُجودَ مَخلوقاتٍ أصغَرَ من أصغَرِ ما تَراه العَين، في زمنٍ كانت البَعوضةُ فيه حَدَّ المَعرِفةِ البَشَريّةِ بالصِّغَر.

قَومُ لُوطٍ... جُعِلَ عالِيها سافِلَها

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ

سورة هود – الآية ٨٢

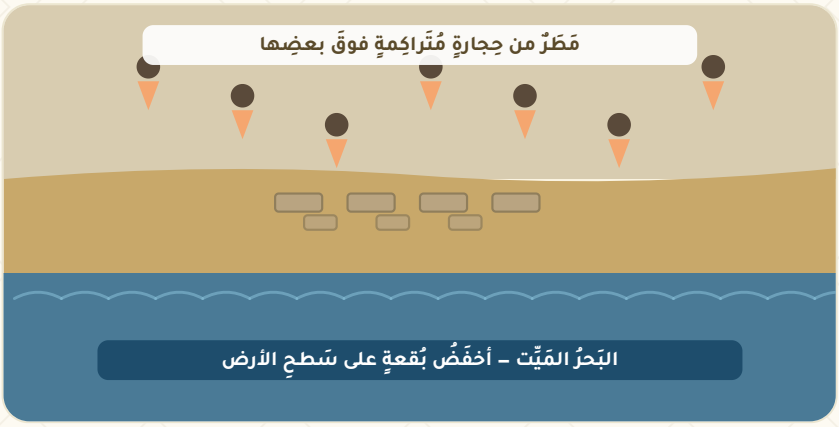

مِنطَقةٌ انخَسَفَت وانقَلَبَت، وغَمَرَها ماءٌ شَديدُ المُلوحة

بكلامٍ بسيط

الآيةُ تقولُ إنّ مَدينةَ قَومِ لُوطٍ **انقَلَبَت رأساً على عَقِب**، ثمّ نَزَلَت عليها حِجارةٌ مُتَراصَّةٌ فوقَ بعضِها. والجُيولوجيا تُفَسِّرُ كيف يَحدُثُ هذا في تلك المِنطَقةِ بالذّات.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

الخَسفُ والانقِلابُ كانا يُفهَمانِ عِقاباً غَيبيّاً مَحضاً بلا آليّةٍ طَبيعيّة. ولم يَكُن يُعرَفُ أنّ تلك المِنطَقةَ تَقَعُ على صَدعٍ أرضيٍّ ضَخم، ولا أنّ باطِنَها يَحوي غازاتٍ وقاراً وكِبريتاً.

ماذا يقولُ العِلمُ اليوم؟

مِنطَقةُ البَحرِ المَيِّتِ تَقَعُ على **صَدعِ البَحرِ المَيِّتِ التَّحَوُّليّ** – أحدِ أنشَطِ الصُّدوعِ الزِّلزاليّةِ في العالَم – وهي أخفَضُ بُقعةٍ يابسةٍ على الكوكب. والمِنطَقةُ غَنِيّةٌ بالقارِ الطَّبيعيِّ والكِبريتِ والغازاتِ القابِلةِ للاشتِعال. وقد رَجَّحَ باحِثونَ أنّ زِلزالاً عَنيفاً أدّى إلى **تَسَيُّلِ التُّربةِ وانخِسافِها** وانقِلابِ طَبَقاتِها، مع قَذفِ مَوادَّ مُشتَعِلةٍ سَقَطَت على المِنطَقة. وفي مَوقِعِ تَلِّ الحَمّام بالأُردُنّ اكتُشِفَت طَبَقةُ دَمارٍ مُفاجِئٍ تَحوي زُجاجاً صُهِرَ بحَرارةٍ هائلة.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

ثَلاثةُ ألفاظٍ تَحمِلُ الوَصفَ كلَّه. «**جَعَلنا عالِيَها سافِلَها**»: انقِلابٌ رأسيٌّ كامِل للطَّبَقات، لا مُجَرَّدُ هَدمٍ – وهذا هو التَّوصيفُ الجُيولوجيُّ للانخِسافِ والانقِلاب. و«**سِجّيل**»: لفظةٌ تَجمَعُ الحَجَرَ والطِّينَ المُتَصَلِّب. و«**مَنضود**»: أي مَرصوصٌ بعضُه فوقَ بعضٍ في طَبَقات – وهذا وَصفٌ دَقيقٌ للصَّخرِ الرُّسوبيِّ المُتَطَبِّقِ في تلك المِنطَقة. فالنَّصُّ يَصِفُ آليّةً طَبيعيّةً مُتَّسِقةً، لا صورةً خَياليّةً عامّة.

إرَمُ ذاتِ العِماد... المَدينةُ المَدفونة

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

سورة الفجر – الآيات ٦-٨

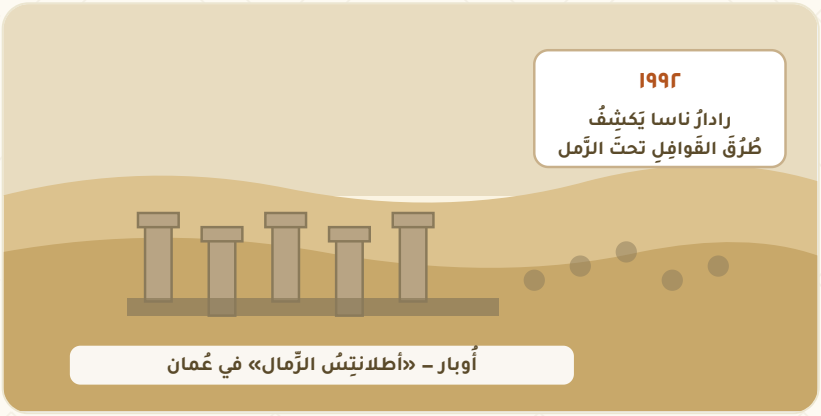

أعمِدةٌ وحُصونٌ خَرَجَت من تحتِ الكُثبانِ بعد آلافِ السِّنين

بكلامٍ بسيط

ذَكَرَ القرآنُ مَدينةً عَظيمةً ذاتَ **أعمِدةٍ** لم يُبنَ مِثلُها، وقال إنّها هَلَكَت. وظَلَّ النّاسُ يَعُدُّونها أُسطورة... حتّى كَشَفَ رادارُ الأقمارِ الصِّناعيّةِ آثارَها تحتَ الرِّمال.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

لم يَكُن في الرُّبعِ الخالي إلّا رَملٌ لا نِهايةَ له. وكان المُؤَرِّخونَ الغَربيّونَ يَعُدُّون «عاداً» و«إرَم» من أساطيرِ العَرَب، إذ لا أثَرَ لها ولا ذِكرَ في مَصادِرَ أُخرى. والصَّحراءُ لا تَحفَظُ سِرّاً يُرى من سَطحِها.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

سنة ١٩٩٢ استَعمَلَ فَريقٌ بِقيادةِ نيكولاس كلاب صُوَرَ رادارِ مَكّوكِ الفَضاءِ التّابِعِ لناسا، فظَهَرَت تحتَ الرِّمالِ **طُرُقُ قَوافِلَ قَديمةٌ تَلتَقي عند نُقطةٍ واحدة** في **الشِّصر** بمُحافَظةِ ظَفار في عُمان. وبالحَفرِ ظَهَرَ حِصنٌ ثَمانيُّ الأضلاعِ له **أبراجٌ عالِيةٌ** وآثارُ مَدينةٍ انهارَت في حُفرةٍ جِيريّةٍ تحتَها. وأعلَنَت الصُّحُفُ العالَميّةُ الخَبَرَ باسمِ «أُوبار: أطلانتِسُ الرِّمال».

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

الوَصفُ القُرآنيُّ خَصَّ المَدينةَ بصِفةٍ مُعَيَّنة: «**ذاتِ العِماد**» – أي الأعمِدةِ أو الأبراجِ العالِية. وهذه ليست صِفةً عامّةً لأيِّ مَدينة؛ فمُدُنُ الجَزيرةِ كانت بُيوتَ طينٍ وخِيام. ثمّ زادَ: «**لم يُخلَق مِثلُها في البِلاد**» – أي تَفَرُّدُها المِعماريّ. وقد ظَهَرَت الأبراجُ فِعلاً. والأهَمُّ أنّ القرآنَ تَحَدَّثَ عنها بوَصفِها **تاريخاً واقِعاً** لا أُسطورةً، في وَقتٍ لم يَكُن لأحدٍ عليها دَليل، وظَلَّ ذلك مَأخَذاً عليه ١٤ قَرناً حتّى جاء الرّادار.

٧٥

هامان... اسمٌ خَرَجَ من الحَجَر

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ

سورة غافر – الآية ٣٦

الاسمُ مَكتوبٌ بالهيروغليفيّةِ التي لم تُقرَأ إلّا سنة ١٨٢٢

«هامان – رئيسُ عُمّالِ مَحاجِرِ الحَجَر»

نَقشٌ مِصريٌّ قَديم – مُتحَفُ هوف بفيينّا

خَرطوشٌ هيروغليفيٌّ يَحمِلُ اسمَ «هامان» ووَظيفتَه في البِناء

بكلامٍ بسيط

القرآنُ ذَكَرَ رَجُلاً اسمُه **هامان** يَعمَلُ مع فِرعَونَ في **البِناء**. وبعدَ أكثَرَ من ألفِ سنةٍ قَرَأَ العُلَماءُ الهيروغليفيّةَ فوَجَدوا هذا الاسمَ فِعلاً – ووَظيفتُه: المَسؤولُ عن عُمّالِ الحَجَر.

ماذا كان النّاسُ يظنّون؟

اللُّغةُ الهيروغليفيّةُ ماتَت تماماً نحوَ القَرنِ الرّابعِ الميلاديّ، ولم يَبقَ على وَجهِ الأرضِ من يَقرَؤُها. فأسماءُ مُوَظَّفي مِصرَ القَديمةِ صارت طَيَّ المَجهولِ المُطلَق. وقد اتَّهَمَ النُّقّادُ القرآنَ بالخَلطِ، وقالوا إنّ «هامان» اسمٌ مَنقولٌ من قِصّةٍ بابِليّةٍ في سِفرِ إستير، وأنّ ذِكرَه في مِصرَ خَطأٌ تاريخيّ.

ماذا يقولُ العلمُ اليوم؟

سنة ١٨٢٢ فَكَّ شامبليون رُموزَ الهيروغليفيّةِ بحَجَرٍ رَشيد. وفي فِهرِسِ الأسماءِ المِصريّةِ القَديمةِ الصّادِرِ عن مُتحَفِ هوف في فيينّا يَرِدُ اسمُ **هامان** على لَوحٍ أثَريّ، مَقروناً بلَقَب: «**رئيسُ عُمّالِ مَحاجِرِ الحَجَر**». أي أنّ الرَّجُلَ مِصريٌّ حَقيقيّ، ومَنصِبُه مُتَعَلِّقٌ بالبِناءِ بالحَجَرِ تحديداً.

لماذا هذه معجزةٌ قاطعة؟

لاحِظ ما الذي كان يُمكِنُ أن يَقَعَ فيه مُختَلِقٌ للنَّصّ. اسمٌ غَريبٌ لشَخصيّةٍ ثانَويّة، في حَضارةٍ ماتَت لُغتُها، يُذكَرُ عَشرَ مَرّاتٍ في القرآنِ ودائماً مَقروناً بفِرعَونَ وبمِصر. ثمّ يُطلَبُ منه بالذّاتِ **بِناءُ صَرح** – وهي وَظيفةُ الرَّجُلِ الحَقيقيّةِ كما في النَّقش. احتِمالُ أن يُصيبَ مُفتَرٍ اسماً مَنسِيّاً ووَظيفتَه معاً، في لُغةٍ لا يَقرَؤُها أحدٌ على وَجهِ الأرض، ليس احتِمالاً مَعقولاً. والتُّهمةُ التي وُجِّهَت إلى القرآنِ قُروناً انقَلَبَت شَهادةً له.